العدد الأول
جمادى الآخرة/ 1424هـ

أهمية رصد حركة الفرق والطوائف.

1- كلمة لا بد منها.

2- **النصيرية.**

3- **حزب الله.**

4- صلاح الدين الأيوبي.

5- إيران والمعارضة العراقية.

6- الثورة الإيرانية وجيلها الثالث.

7- الحوزة والأمة ومستقبل فلسطين.

8- الموقف الإيراني من الحرب الأمريكية على العراق.

9- مقاربة ثقافية لسياسة إيران الخارجية.

10- أهل السنة في إيران.

فاتحة القول

أهمية رصد حركة الفرق والطوائف

أيها القارئ الكريم يسعدنا أن نضع بين يديك جهداً نراه ضرورياً في رصد حركة الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والمسلمين , والداعي لهذا ما تشهده أوضاع المسلمين اليوم في كافة أرجاء الأرض من انبعاث لفكر هذه الطوائف أولاً وتشكيل هذه الفرق والطوائف دولاً وقوى سياسية فاعلة , وأهم من هذا أنها بدأت بالتسرب إلى أهل السنة والمسلمين وافتراس الكثيرين من أبنائهم وقادتهم .

إن الصراع في عالمنا اليوم هو بين القوى المتدينة سواء قلنا بصراع الحضارات أم لم نقل فإن سيطرة القوى المتدينة ظاهر لكل مراقب , وتعمل هذه العقائد على فرض المواقف والسياسات على العديد من الدول والقوى بصرف النظر عن صحة وصواب هذه الأفكار .

وإن أعداءنا واليهود تحديداً منهم ومن القديم حاربونا من خلال إنشاء ورعاية وتوجيه الفرق الضالة والمبتدعة والتحالف معها، واليوم الساحة مهيأة أكثر من أي وقت مضى لرعاية وإنشاء ودعم العديد من القوى البدعية والطائفية لتكون سلاحاً بيد أعداء الإسلام لكن باسم الإسلام ! .

وإن نظرة على خارطة العالم الإسلامي مع وضع أسماء القوى الطائفية والفرقية المؤثرة فيها ليوضح بشكل لا نقاش فيه هذا الخطر الزاحف من داخلنا دون أن يعيره الكثير من المسلمين الانتباه الكافي .

ومن أجل هذا كانت هذه المجلة التي تهدف إلى تبصير أهل الاسلام بخطر الفرق والطوائف على مستقبل الدعوة الاسلامية وبلادهم، وتوضح لهم حقيقة الأدوار التي يقومون بها مع التحذير من الخطط القادمة وكيفية العمل على مقاومتها .

والله من وراء القصد .

كلمة لا بد منها

إن الحديث عن الفرق والطوائف ليس فتحاً لجروح مندملة, بل حـديث في قضية مهمة نعايشها وتكاد تكون محور استراتيجيات متعددة تجاه أمننا.

وهذا لا يعني أن جميع هـذه الفـرق والطوائـف فـي مسـتوى واحـد مـن العداء والمكر للأمة فضلاً عن أنها جميعها تريد ذلك.

وأيضاً فإن كثير من أفراد هذه الفرق والطوائف هم مـن الغـافلين عـن حقيقـة مـذاهبهم وعقائـدهم ولـذلك لا نتهـم كـل مـن انتسـب لهـذه الفـرق والطوائف بالعمالة والتآمر, بل قد كان لبعض هـذه الفـرق والطوائـف وفئـة من أبنائها مواقف تشكر لهم, لكن كان سبب ذلك بشكل أساسي هو ضـعف تأثرهم في مراحل معينة بمذهبهم وفكرهم!.

وتقريباً للصورة نقول هنـاك العديـد مـن المتصـوفة مثلاً لا يعـرف عـن الصوفية سوى ذكر الله -ولو كان بصورة مبتدعة- وهو يظن أن هذا هـو غايـة التصوف ويكون له بلاء حسـن فـي الـدفاع عـن الاسـلام وقضـاياه, فـدفاعه وبلاءه مع الاسلام ليس نابعاً من تصوفه بل هو نابع من جهله بالتصوف, فلـو تعمق بالتصوف واعتقد عقائد الصوفية لتحالف مع أعداء الاسـلام المتغلـبين بحجة أن هذا قدر الله ولا بد من الأخذ به والحب له!!.

ولذلك فإن الخطر والبلاء يأتي الاسلام دائماً حين يقـوم بعـض أصـحاب المذاهب البدعية بالدعوة لها والعمـل مـن أجلهـا فعنـدها تنـزل بالمسـلمين الكوارث, كما هو حادث في يومنا هذا.

النصيرية

التعريف:

النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة, أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجود جزء إلهي في علي وألهوه به, مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه, وهم مع كل غاز لأرض المسلمين, ولقد أطلق عليهم الإستعمار الفرنسي لسوريا اسم (العلويين) تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

-مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت 270هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي " الموهوم " (الثاني عشر).

-زعم أنه الباب إلى الإمام الحسن العسكري, والحجة من بعده, وأنه وارث علمه, والمرجع للشيعة من بعده, وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي.

-ادَّعى النبوة والرسالة, وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى الألوهية.

-خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب.

-ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني (235-287هـ) من جنبلا بفارس, وكنيته العابد والزاهد والفارسي, سافر إلى مصر, وهناك عرض دعوته على الخصيبي.

-حسين بن علي بن الحسين بن حمدان الخصيبي: المولود سنة 260هـ جاء مع استاذه من مصر إلى جنبلا, وخلفه في رئاسة الطائفة, وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب كما أنشأ للنصيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والاخر في بغداد ورئيسه علي الجسري.

-انقرض مركز بغداد بعد حملة هولاكو عليها.

-انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني (358-427هـ).

-اشتدت هجمات الأكراد والأتراك عليهم مما دعا إلى قيام الأمير حسن المكزون السنجاري (583-638هـ) ومداهمة المنطقة مرتين فشل في الأولى ونجح في الثانية حيث أرسى قواعد المذهب النصيري في جبال اللاذقية.

-ظهر حسن عجرد من منطقة أعنا, وقد توفي في اللاذقية سنة(836هـ/ 1432م).

-نجد بعد ذلك رؤساء تجمعات نصيرية من مثل الشاعر القمري محمد بن يونس كلاذي (1011 هـ / 1602 م) قرب أنطاكية, وعلي الماخوس وناصر نيصفي ويوسف عبيدي.

-سليمان أفندي الأذني: ولد في أنطاكية سنة 1250هـ وتلقى تعاليم الطائفة لكنه تنصر على يد أحد المبشرين وهرب إلى بيروت حيث أصدر كتابه (الباكورة السليمانية) يكشف فيه أسرار هذه الطائفة, استدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه وأحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

-عرفوا تاريخياً باسم النصيرية, لكن فرنسا أقامت لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة 1920 إلى سنة 1936م.

-محمد أمين غالب الطويل: شخصية نصيرية, كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا, ألّف كتاب (تاريخ العلويين) يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة.

-سليمان الأحمد: شغل منصباً دينياً في دولة العلويين عام 1920 م.

-سليمان المرشد: كان راعي بقر, لكن الفرنسيين احتضنوه وأعانوه على ادعاء الربوبية, كما اتخذ له رسولاً (سليمان الميده) وهو راعي غنم, ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال وأعدمته شنقاً عام 1946م.

-جاء بعده ابنه مجيب, وادعي الألوهية, لكنه قتل أيضاً على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة 1951م, وما تزال فرقة (المواخسة) النصيرية يذكرون اسمه على ذبائحهم.

-ويقال بأن الإبن الثاني لسليمان المرشد اسمه (مغيث) قد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه.

الأفكار والمعتقدات:

-جعل النصيرية علياً إلهاً, وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

-لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناساً لخلقه وعبيده.

-يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت, ويخطئون من يلعنه.

-يعتقد بعضهم بأن علياً قد سكن القمر بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده ويعتقد آخرون بأن مسكنه في الشمس.

-يعتقدون بأن علياً قد خلق محمداً, وأن محمداً قد خلق سلمان الفارسي وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

1-المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.

2-أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

3-عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

4-عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

5-قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

-قال ابن نصير بإباحة المحارم, وأحل (اللواط) بين الرجال.

-لهم ليلة يختلط فيها الحابل بالنابل كشأن باقي الفرق الباطنية.

-يعظمون الخمرة, ويحتسونها, ويعظمون شجرة العنب لذلك ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة التي يسمونها " النور ".

-يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحياناً.

-لا يصلّون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء

الصلاة.

-ليس لهم مساجد عامة, بل يصلون في بيوتهم, وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

-لهم قدّاسات شبيهة بقداسات النصارى من مثل:

- (قدّاس الطيب لكل أخ حبيب).
- (قدّاس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور).
- (قدّاس الأذان وبالله المستعان).

-لا يعترفون بالحج, ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام

-لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا –نحن المسلمين- وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون.

-الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

-يبغضون الصحابة بغضاً شديداً, ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

-يزعمون بأن للعقيدة باطناً وظاهراً وأنهم وحدهم العالمون بباطن الأسرار, ومن ذلك:

- الجنابة: هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني.
- الطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني.

الصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة.

- الزكاة: يرمز لها بشخصية سلمان.
- الجهاد: هو صب اللعنات على الخصوم وفُشَاة الأسرار.

- الولاية: هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها.
- الشهادة: هي ان تشير إلى صيغة (ع.م.س).
- القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي, وقد قام سلمان " تحت اسم جبريل " بتعليم القرآن لمحمد.
- الصلاة: عبارة عن خمسة أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة, ومحسن هذا هو (سر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقطٌ طرحته فاطمة, وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء.

-اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيرين لا تجوز مناكحتهم, ولا تباح ذبائحهم, ولا يُصلّى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين, ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون.

-يقول ابن تيمية: " هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية –هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية- أكفر من اليهود والنصارى, بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم... وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين, فهم مع النصارى على المسلمين, ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار, ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم "

-الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم ومن ذلك:

1- عيد النوروز: في اليوم الرابع من نيسان, وهو أول أيام سنة الفرس.

2- عيد الغدير, وعيد الفراش, وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

3- يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران للمباهلة.

4- عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس, وعيد العنصرة, وعيد القديسة بربارة, وعيد الميلاد, وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخاً لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار.

5- يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فرحاً بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية:

-استمدوا معتقداتهم من الوثنية القديمة, وقدّسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكناً للإمام علي.

-تأثروا بالأفلاطونية الحديثة, ونقلوا عنهم نظرية الفيض النوراني على الأشياء.

-بنوا معتقداتهم على مذاهب الفلاسفة المجوس.

-أخذوا عن النصرانية, ونقلوا عن الغنوصية المسيحية, وتمسكوا بما لديهم من التثليث والقداسات وإباحة الخمور.

-نقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية.

-هم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة بعامة والسبئية (جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي) بخاصة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

-يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية, ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

-يوجد عدد كبير منهم ايضاً في غربي الأناضول ويعرفون باسم (التختجية والحطابين) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).

-ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم البكتاشية.

-هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلى إلهية).

-وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين.[1]

في السياسة والتاريخ:

و وقائع التاريخ تؤكد ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله من أنهم مع كل عدو للمسلمين, فقد كان هؤلاء الباطنيون دوماً و ما زالوا ضد المسلمين, ويناصرون الكافرين عليهم, ففي سنة 803هـ, توجه تيمور لنك إلى الشام وخرّب معالمها ودك حصونها, وأذل رجالها, معبراً عن حقد شعوبي خبيث, مغطى بدعوى الولاء لآل البيت, فقام النصيرية يناصرونه ويغرونه بالفتك بأهل الشام, وكان نائب حلب هو الأمير (النصيري) تمور طاش الذي اتصل بتيمور لنك خفية واتفق معهم على أن يدهم تيمور لنك حلب, فهاجمها بالفعل ودخلها عنوة, وأمعن في القتل والنهب والتعذيب.

ولما تصدّى الظاهر بيبرس لصد حملات التتار عن الشام, كان النصيريون مع التتار, ولما تمكن بيبرس من القضاء على التتار, توجه إلى جبال النصيرية, وعاقبهم, ثم أحسن الظن بهم وبنى لهم المساجد علّهم يعودون على الاسلام, فاستجابوا مدة حتى أمنوا, ثم أهملوها وجعلوها زرائب للماشية.

---

[1] نقلاً عن الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض
الطبعة الثانية 1409هـ - 1989م ص 511-517

واما في عهد الهجمة الصليبية, فإن الصليبيين لم يدخلوا بلاد المسلمين إلا عن طريقهم ومن مناطق سكناهم في طرطوس وأنطاكية وغيرها من مناطق نفوذهم, بل إن مدينة أنطاكية سقطت في يد الصليبيين بفعل الاتفاق الذي وقع بين الزعيم النصيري (فيروز) وبين قائد الصليبيين (بوهمند), كما أن النصيريين أرشدوهم إلى القلاع والوديان والمسالك.

وفي زمن الحرب العالمية الأولى, أعان النصيريون الفرنسيين على احتلال سوريا, وسعوا لإقامة دولة خاصة بهم, وقد أقامت لهم فرنسا دولة في بداية أيلول سنة 1920, ويقول الجنرال الفرنسي غورو في تلك الفترة (وأفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين الذين يستيقظ حسهم " الإقليمي الذاتي " منذ لم يعد الاتراك هنا لتذويبهم مع المسلمين, قد ساعدوني كثيراً في قمع الفتنة التي أثارها الشريف (فيصل الأول) في منطقة تل كلخ, فقد تلقيت برقية تفيدني بأن ثلاثة وسبعين زعيماً نصيرياً يتحدثون باسم جميع القبائل يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة).

وفي عام 1919 أطلق الفرنسيون على النصيريين اسم (العلويين) لترفع عنهم تلك الوصمة من ذلك الاسم البغيض (النصيرية), وفي عام 1936 أرسل زعماء الطائفة النصيرية في سوريا عريضة يطالبون فيها بعدم إنهاء الانتداب الفرنسي لسوريا, ويذكّرون المسؤولين الفرنسيين بأنهم شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني, وأبدوا تعاطفهم مع اليهود الذين كانوا يتكاثرون في فلسطين –آنذاك- تحت رعاية ودعم الاحتلال البريطاني, وفي العام ذاته رفض زعماء الجبل (النصيريون) في سوريا وحدة سوريا, وأعلنوا العصيان المسلح سنة 1946.

وفي سنة 1975 دخل الجيش السوري لبنان ليقف مع المسيحيين الموارنة ضد المسلمين, ويرتكب في العام التالي مذبحة مروعة في تل الزعتر بحق الفلسطينيين الأبرياء, وسوريا كما هو معروف تحكمها الطائفة النصيرية منذ عام 1970 وحتى الآن, كما أن النظام السوري النصيري اقترف عدة مجازر مروّعة ضد مواطنيه السوريين السّنة في مدينة حماة وغيرها أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

للإستزادة:

1- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها – د. سليمان الحلبي

2- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة – وليد الأعظمي

3- رؤية اسلامية في الصراع العربي الاسرائيلي – محمد عبد الغني النواوي.

4- مدخل إلى المذهب العلوي النصيري – جعفر الكنج الدندشي

حزب الله من الحلم الايديلوجي
إلى الواقعية السياسية

هذا كتاب مهم في بابه للدكتور غسان العزي أستاذ العلـوم السياسـية في الجامعة اللبنانية صـدرت طبعتـه الأولـى عـن دار قرطـاس للنشـر فـي الكويت في 105 صفحات من الحجم المتوسـط سـنة 1998, والمؤلـف د. غسان العزي هو أستاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

وأهمية الكتاب تتمثل في أن حزب الله في لبنان أشبه بقصة غامضة يتداخل فيها البعدان الخارجي والداخلي, قصة تثور حولها التساؤلات الكـثيرة ومنهـا حقيقة الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان المحتل والدور الغامض لحزب الله.

لذلك كان حزب الله موضوعاً جديراً بالدراسة, رغم صدور عدد وافر من الكتب والأبحاث حوله, لكن معظم هذه الدراسات بحسب المؤلف د. غسان عزي ينظر إلى الحزب من زوايا ضيقة نسبياً, فهو إما مجرد حركة عسـكرية وجدت لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي وبالتالي تزول بزواله, وإمـا رأس حربـة للنفوذ الإيراني في لبنان, وإما ورقة ضاغطة لسوريا في مفاوضات السـلام, وإما تعبير عن " حالة إسلامية شيعية أصولية "... إلخ.

وبين هذا الرأي وذاك, يحاول المؤلف الخروج بتحليل يتوخى القدر الأكبر الممكن من الموضوعية والتوازن, وتدور إشكالية البحث حـول رصـد مسـار حـزب اللـه والتوفيـق بيـن الخطـاب الايـديولوجي والممارسـة الواقعيـة, أو بـالأحرى تحـوله التـدريجي مـن الثوريـة المثاليـة إلـى الواقعيـة السياسـية, فالأنظمـة القائمـة فـي العـالم العربـي والاسـلامي الـتي يـدعو حـزب اللـه لتغييرها, هو اليوم يعيش في أحضان بعضها ويمثل جزءًا من نظامهـا ويرفـع أعلامها وشعاراتها!

نشأة حزب الله:-

يذكر المؤلف الظروف التي نشأ فيها حزب الله وخاصة البيئة الاجتماعية والسياسية, حيث الجنوب والبقـاع المحـروم مقابـل بيـروت الغنيـة, وكـانت الطائفة الشيعية اللبنانية

الأكثر عدداً من بين الطوائـف فـي الجنـوب والبقـاع خاصـة, ثـم جـاء تأسـيس منظمـة التحريـر الفلسـطينية سـنة 1964 وانطلاق عملياتهـا مـن الجنوب اللبناني, وقد دفع هذان السببان باتجاه الهجرة من الجنوب والبقاع, وفـي هـذا الجـو راحـت تنمـو الأحـزاب السياسـية ويتكـاثر عـددها, وكـانت الطائفة الشيعية تغذي صفوف الأحزاب اليسارية والقوميـة العربيـة عمومـاً المتحالفة مع الثورة الفلسطينية.

وفي ظل هذه الظروف, قدم إلى لبنان شيعي إيراني هو موسى الصدر, وأخذ يعمل على تنظيم صفوف الشيعة وإقامة المشاريع لهم, ثم أنشأ حركة أمل الشيعية المسلحة سنة 1975, وسرعان ما تم منحه الجنسـية اللبنانيـة [1].

[1] تم إرسال موسى الصدر من قبل شاه إيـران, ومنـح الجنسـية اللبنانيـة علـى يـد الرئيس شهاب الذي ينتمي إلى أسرة درزية تنصرت! أنظـر حقيقـة المقاومـة – عبـد

وساهمت المنظمات الفلسطينية مساهمة فعالة في التأطير العسكري والسياسي لحركة أمل وفي تسليحها ودعمها, وبعد اختفاء الصدر الذي كان في زيارة إلى ليبيا تولى رئاسة الحركة حسين الحسيني ثم نبيه برّي الذي وجهها وجهة سورية, واختار تحالفاً لا حدود له مع سوريا التي كانت تعيش صراعاً على النفوذ مع منظمة عرفات في لبنان, وبالرغم من الدعم الفلسطيني الكبير لحركة أمل الشيعية إلا أن الفلسطينيين كانوا ضحايا الحركة, فقد اقترفت ضدهم مذابح مروعة وفرضت حصاراً على مخيماتهم وهو ما عرف لاحقاً باسم (حرب المخيمات) وهذا يدل على طيبة أهل السنة تجاه الآخرين.

في بداية عام 1979, انتصرت الثورة الايرانية في إيران, فدب الحماس في نفوس المقاتلين الشيعة, الذين سارعوا إلى تشكيل " لجان دعم الثورة الاسلامية في إيران " واختار بعض رجال الدين الايرانيين المنفيين في لبنان البقاء في لبنان, والعمل كجسر لإيران في لبنان, وتمكن الحرس الثوري الايراني من إدخال أكثر من ألف عنصر إلى جنوب لبنان, وعملوا في صفوف أمل ومنظمة التحرير, وتكثفت الاتصالات بين الشيعة اللبنانيين والايرانيين, وتمركز علماء دين إيرانيون في الجنوب وضاحية بيروت الجنوبية, وصارت السفارة الايرانية تكثف نشاطاتها الدعائية والاجتماعية والثقافية وتقدم المساعدات وتنظم التجمعات والمهرجانات الداعية للثورة, وتساهم في خلق الظروف المؤاتية لمشروع تصدير الثورة.

ومع تصاعد الغزو اليهودي ضد لبنان عام 1982 م, تم تشكيل هيئة انقاذ وطني من مختلف الفصائل ومن بينها حركة أمل, لكن طلبت إيران من رئيس الحركة نبيه بري عدم المشاركة! و اعتراضاً على مشاركة بري انشق عنه بعض الأعضاء الموالين لإيران و أسسوا " حركة أمل الاسلامية ", وفي الوقت الذي كان فيه حسين موسوي نائب رئيس حركة أمل يهاجم هيئة الانقاذ والمشاركين فيها ويعلن ولادة " أمل الاسلامية " قام بخطف عدد من رجال الدين المسيحيين في مدينة زحلة, وسرعان ما تحولت " أمل الإسلامية " إلى " حزب الله ", و في عام 1984 تم اعتماد التسمية الثابتة والشعار المركزي للحزب, وفي عام 1985 م أصدر "حزب الله" الرسالة المفتوحة التي تحتوي على برنامجه السياسي ورؤيته للواقع المحلي والاقليمي والدولي, وهكذا فقد نشأ وولد حزب الله من رحم الاحتجاج على انضمام نبيه بري إلى لجنة الانقاذ للتصدي للعدوان الاسرائيلي!!!.

التصورات والمنهج :

شكلت الرسالة المفتوحة خطوطاً عريضة لمنهج حزب الله, فقد أكدت على الولاء لإيران وللإمام الخميني الولي الفقيه والالتزام بقيادته, ورفض النظام اللبناني القائم, ورفض و معارضة كل من يتحرك في إطار المحافظة على الدستور ومعارضة كل حكومة تمثل جزءاً من النظام اللبناني الظالم.

وجعل حزب الله من أهدافه :

- إخراج إسرائيل من لبنان نهائياً تمهيداً لإزالتها من الوجود, وتحرير

المنعم شفيق ص 70. (التحرير)

القدس وعدم الاعتراف بالهدنة مع اسرائيل إلا أنه سرعان ما عقد الهدنة والاتفاقات كما هو الحال في هدنة نيسان سنة 1996 م.

- إخراج أمريكا وفرنسا من لبنان, وسائر القوى الاستعمارية.
- محاكمة الكتائبيين على الجرائم التي اقترفوها بحق اللبنانيين.

-مهاجمة الأنظمة العربية كالعراق ومجلس التعاون الخليجي ومحور الأردن ومصر والمنظمة العرفاتية, في إشارة إلى الدول التي كانت تقف ضد إيران في حربها على العراق.

البنية التنظيمية والمؤسسات :

حيث أن حزب الله يتبنى نظرية ولاية الفقيه, فإن مرشد الثورة الايرانية هو قائد الحزب وزعيمه أما الذي يدير شؤونه فهو الأمين العام, ويتألف الحزب من مجلس للشورى ومكتب سياسي ومكتب مركزي, والكوادر القيادية للحزب إما من العاملين في حزب الدعوة [1] أو من الذين عملوا مباشرة مع الثورة في إيران.

وجرت أول انتخابات للحزب سنة 1989, وقد راح منذ ولادته يجمع بين المنظمة السرية الأمنية وبين الحركة الأهلية الجماهيرية.

ومن الأسباب التي تدفع الحزب إلى هذه السرية وجود عضوين إيرانيين في القيادة الحزبية العليا, ويعتمد حزب الله على جهاز أمني شديد التعقيد والفعالية.

بلغت موازنة الجهاز الأمنى 70 مليون دولار سنة 1992, وقد تم إنشاء هذا الجهاز بمساعدة حرس الثورة الايرانيين (الباسدران) الذين وفدوا إلى لبنان سنة 1982, وكان يشرف سابقاً على المعتقلات وموضوع الرهائن الاجانب الذين تمكنت إيران من خلال المساومة عليهم من عقد عشرات الصفقات السرية مع الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا لاستيراد السلاح الذي احتاجت إليه في حربها ضد العراق (إيران غيت مثلاً).

وسمح للحزب بامتلاك الآلة العسكرية والإعلامية والدينية والأمنية واستطاع أن يفرض نفسه على الساحة عسكرياً ثم سياسياً, واحتفظ بسلاحه في حين تخلت الأحزاب والميليشيات الأخرى عن سلاحها أو جردت منها.[2]

---

[1] حزب الدعوة الشيعي العراقي الذى أسسه محمد باقر الصدر وكان من المقربين له محمد حسين فضل الله.

[2] وذلك بدعم وتعاون سوريا واحتفظ الحزب بسلاحه بذريعة المقاومة التي لم نرها طوال سنوات الانتفاضة الثانية!!

وفي ظل غياب الدولة, لجأ حـزب اللـه إلـى إنشـاء عشـرات المشـاريع الخيرية مـن مـدارس ومستشـفيات وحفـر آبـار... وإنشـاء مؤسسـات تتبـع هيئات إيرانية كمؤسسة الشهيد, وإنشاء وسائل إعلام مثل تلفزيون المنـار, ومركـز دراسـات وتوثيـق, كمـا اهتـم الحـزب بإنشـاء المـدارس الدينيـة والحوزات, الأمر الذي يثير التساؤل عن موارد الحزب خاصة إذا أضـيف لهـا كلفة الجهاز الأمني والعسكري للحـزب, لـذلك فالـدعم الإيرانـي أكـثر مـن حيوي, وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية خامنئي اثنين من قـادة الحـزب همـا حسن نصر الله ومحمد يزبك وكيلين له في لبنـان لاسـتلام أمـوال الخمـس وغيرها.

وقدّر دخل الحزب عـام 1993 بـ 160 مليـون دولار وقـد اعتـبر عيسـى طبطبائي رئيساً لـ "مؤسسات الجمهوريـة الاسـلامية الايرانيـة " فـي لبنـان وهو من قدامى الدعاة الخمينيين في لبنان, وقد اضطلع بدور بارز في إعداد كوادر حزب الله الخميني واختيـارهم وترقيتهـم علـى غـرار مـا كـانت تصـنع "دائرة الكوادر" في الأحزاب الشيوعية والسوفيتية.

وطريقة عمل حزب اللـه المؤسسـاتي هـي طريقـة الأحـزاب الشـيوعية والهدف منها خلق مجتمع نقيض للمجتمع العام والظاهر, لا يترك للدولـة أي مكان فيه أو دور, والأصل هو "الثورة الاسلامية" أو " المقاومـة الاسـلامية " أي الحرب, وما الأساليب المختلفة (رعاية الأيتام وما شـابه ذلـك) إلا فـروع متفرعة عن هذا الأصل, " تخفف " بعض نتائج الحرب أو تمدها بوقود جديد.

المقاومة:

ارتبط حزب الله في أذهان الناس بالمقاومة في جنـوب لبنـان, وصـارت تثار التساؤلات حول حقيقة الدور الذي يؤديه ومدى ارتبـاطه بلبنـان أو أدائـه لأدوار نيابة عن الآخرين وفعالية المقاومة وسبب السماح له وحـده بـامتلاك السلاح.[1]

ومن أجل أن يعطي الحزب الانطباع بأنه لبناني, أعلـن أميـن عـام حـزب اللـه حسـن نصـر اللـه فـي أحـد أيـام 1997 عـن إنشـاء (السـرايا اللبنانيـة لمقاومة الاحتلال الاسـرائيلي) فـي محاولـة لاتجـاه الحـزب حـول "اللبننـة" ورفع تهمه إستئثاره بالمقاومة, ولم نر أي تطبيق عملي لهذه الخطوة سوى إلهاب المشاعر والإيهام بأن الحزب يعمل لمصلحة لبنان وأنه ليـس طائفيـاً والأرجح أن إيران ليست بعيدة عن توجه الحزب نحـو "اللبننـة", خاصـة بعـد عودة حسن نصر الله من طهران حيث قابل رئيسها المنتخـب قريبـاً محمـد خامنئي.

تمدد الحزب: -

سبق القول أن حزب الله ولد من رحم حركة أمل التي أخذ من كوادرهـا ومقاتليها الكثير, ودخل الحزب في صـراعات مـع فصـائل عديـدة مـن بينهـا حركـة أمـل والحـزب الشـيوعي, وسـيطر علـى عـدة منـاطق فـي لبنـان, وارتبطت بالحزب عدة عمليات لخطف رهـائن غربييـن والمسـاومة عليهـم,

[1] صرح رئيس الدولة الاسرائيلية لمجلة المجلة عدد 1154 عن أن الانسحاب من جنوب لبنان كان لمصالح إسرائيلية! ونشرت مجلة الوطن العربي عـن قصـة الاتفـاق بين اسرائيل وحزب الله على الانسحاب في عددها 1217.

كما امتد الصراع بين حزب الله وخصومه خارج لبنان في أوروبا, والكويت وغيرها, حيث شهدت سنوات الثمانينات في الكويت حوادث مروّعة نفذها حزب الله بسبب وقوفها مع العراق في حربها ضد إيران, شملت تفجير سفارات ومنشآت حيوية ومرافق عامة واختطاف طائرات ومحاولة اغتيال أمير الكويت سنة 1985.

حزب الله وإيران وسوريا :

بالرغم مما يؤكده قادة الحزب بأنه لبناني ونشأ لبنانياً وجاء الدور السوري والإيراني لاحقاً, إلا أن المعطيات تؤكد أن إيران لعبت دوراً أساسياً في ولادته ونشأته ونموه, وتصريحات قادة الحزب وميثاق الحزب تؤكد دوماً التبعية للثورة الايرانية ومرشدها, وصور قادة إيران وعلمها تسيطر على مرافق وفعاليات الحزب.

يقول حسن سرور أحد قادة الحزب " نعلن للعالم أجمع أن إيران هي أمنا ودیننا وكعبتنا وشراييننا " ويزيد عباس موسوي :" كلنا أخوة ونقاتل من أجل القضية نفسها, وكل من يحاول التفرقة بينا وبين اخوتنا الايرانيين أو بين المسلمين عموماً فإنه يرتكب جريمة ".

الدعم المادي والعسكري والسياسي والاعلامي الايراني لحزب الله واضح لا لبس فيه, وإن كان يصعب تحديد حجمه, وهناك جهات إيرانية عديدة تعمل في حزب الله: حراس الثورة, وزارة الخارجية, مؤسسة الشهيد, وزارة الإرشاد الاسلامي, وزارة الداخلية, الأجهزة الأمنية الاستخباراتية...

لقد كلف حزب الله إيران الكثير من الجهد والمال, لكن إيران تمكنت من خلاله بالدخول بقوة إلى أزمة الشرق الأوسط, ورفع عبء العقدة القومية الفارسية عنها وعقدة الصراع التاريخي بين الفرس والعرب التي برزت خلال حربها الطويلة مع العراق, وأظهرها بمظهر البلد الذي يواجه اسرائيل والولايات المتحدة.

لكن النفوذ الايراني يظل محكوماً بالسقف السوري وغياب الإجماع عليه سواءً الشيعي أوغير الشيعي, وإذا كان الحزب قد نشأ بإشراف ورعاية إيرانية, فإنه قد نشأ في مناطق النفوذ السوري, وقد استفادت سوريا منه في محاربة فصائل لبنانية معادية لها, وبقيت العلاقة بين سوريا والحزب حتى سنة 1987 منحصرة بالجانب الأمني دون أن تتطور إلى مستوى التنسيق السياسي.

وبعد حدوث اشتباك بين سوريا وحزب الله في بداية 1987, حدث منعطف خطر في العلاقة بينهما, ومنذ ذلك الوقت يتحاشى الحزب الخلاف المعلن مع السياسة السورية, وسعى إلى مزاوجة ولاءيه: الإيراني من جهة والسوري من جهة أخرى من غير انفصال, فالولاء السوري صار " شرط بقاء الجهاز الخميني المادي (بقاءً مادياً) بلبنان واستمراره على خطه ونهجه.

ومع انطلاق مفاوضات السلام العربية الاسرئيلية سنة 1991 توثقت العلاقات بين دمشق والحزب, فالمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان صارت

أثمن الأوراق الداعمة للموقف التفاوضي السوري, وصارت سوريا تـوجه من خلال الحزب رسائل إلى تل أبيب, وتحرك الجبهة الشمالية على إيقاع المفاوضات المرتبكة.!!!

حزب الله في الانتخابات :

أثارت مشاركة الحزب في انتخابات سنة 1992 اندهاشاً واستغراباً لدى الكثيرين الذين تساءلوا عن مشاركة الحزب في سلطة يعتبرها جائرة, وبموجب ولاية الفقيه التي يعتنقها الحزب التي لا تجيز أن يخضع المسلم لحكم غير المسلم والشيعي لغير الشيعي, وقد فسّر هذا التحول بأنه اتباع الخطط المرحلية من خلال التحرك في كل فرصة تهيئها الظروف الموضوعية, لإثبات نفسه وفرض وجوده في الساحة اللبنانية و كما أن دخوله المعترك النيابي فرصة لإبعاد صفة الإرهاب عنه.

وخاض الحزب الانتخابات اللاحقة سنة 1996 وحصل على العدد نفسه من المقاعد (8 للحزب و 4 لحلفائه أمل والشيوعيين والقوميين).

وخلال تلك الفترة وافق نواب الحزب على التمديد ثلاث سنوات أخرى لرئيس الجمهورية اللبنانية الهراوي, الأمر الذي يشكل قمة الانخراط في لعبة براغماتية تبتعد ابتعاداً واضحاً عن المواقف الايديولوجية المعلنة, ومن بين هذه المواقف الموقف المعلن للمرجع الشيعي محمد حسين فضل الله الذي يعتبر المرشد للحزب والذي يعده البعض من (المعتدلين) عندهم حيث يرفض العملية الديمقراطية العددية من أساسها كما جاء في كتابه (الاسلام ومنطق القوة).

الخلافات البينية الشيعية :

كان لا بد لحزب الله أن يتأثر بالخلافات داخل القيادة الإيرانية, خاصة تلك التي برزت بعد وفاة الخميني, ويوجد أربعة تيارات شيعية بارزة تتنازع النفوذ على الطائفة فهناك: أ-حزب الله الذي يعتمد المرجعية الايرانية وولاية الفقيه. ب-حركة امل ج-المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله وهناك المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الذي يرأسه محمد مهدي شمس الدين.

وتتمحور معظم الخلافات حول المرجعية, وولاية الفقيه, والحصص في الدولة وفي أموال الخمس والمساعدات لكنها تبقى محكومة بسقف سوري.

خلاصة عامة : حزب الله من الايديولوجية إلى الواقعية :

في ختام كتابه يضع المؤلف خلاصة عامة لتحول مسيرة حزب الله من الايديولوجية الثورية إلى الواقعية والبعد اللبناني. وسقوط شعاراته التي كانت تدغدغ الجماهير.

فالحزب نشأ في ظل الاجتياح الاسرائيلي للبنان وانتصار الثورة الإيرانية, وقد ساهم ذلك في تبني الحزب لشعارات ثورية, وكان يتبنى تكفير ورفض النظام اللبناني ورفض اتفاقية الطائف التي وضعت حدّاً للحرب الأهلية, وكان الحزب يمارس عمليات الاغتيال وخطف الرهائن وتحول إلى حزب سياسي لبناني يساهم في الحكم ويعتبر نفسه جزءاً من لبنان, وينسق

مواقفه مع مواقف الدولة التي كان بالأمس يرفضها ويكفرها.

وإذا كان تعثر مسيرة السلام يصب في مصلحة الحزب مباشرة, وهو الذي نشأ كرد فعل مباشر على عدوان اسرائيل, لكن كيف سيكون الوضع إذا أثمرت مفاوضات السلام تسوية ما وافقت سوريا عليها, عندها لن يملك الحزب سوى الانكفاء إلى العمل السياسي والاجتماعي, والتخلي عن البندقية.

هذا فيما يتعلق بسورية أما إيران, فإنها أعلنت أنها تحترم مواقف الأطراف العربية ولن تعمل على إعاقتها, وهي تسعى إلى علاقات جيدة مع الدول التي وقعت اتفاقيات سلام مع اليهود مثل الأردن ومصر, وقد جاءت نصيحة إيران لحزب الله بأن يتحول من مقاومة اسلامية إلى حزب سياسي فاعل في الحياة السياسية اللبنانية لتضمن لحليفها مكاناً على الطاولة الرسمية في لبنان.

لقد كانت إحدى أهم ايديولوجيات الحزب المعلنة هي تحرير كل فلسطين "من البحر إلى النهر " وإزالة إسرائيل من الوجود, وتحولت هذه الايديولوجية إلى واقعية جسّدها أمين عام الحزب حسن نصر الله في 2/5/1996 عندما صرّح... "إن هدف المقاومة الاسلامية هو تحرير المنطقة اللبنانية المحتلة وإن وقف عملياتها رهن بانتهاء الاحتلال الاسرائيلي لأجزاء من لبنان ".

وبعد هذا العرض لأهم أفكار الكتاب لا بد أن يتضح أن بوصلة الحزب هي باتجاه مصالحه الطائفية وتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية باسم المقاومة المزعومة والحزب يمارس الآن سياسة تهيئه لترك المقاومة تحت غطاء مصلحة المقاومة!!

سطور من الذاكرة

محاولة قتل صلاح الدين الأيوبي

571هـ

صلاح الدين الأيوبي نموذج مميز للحاكم والقائد المسلم, وارتبط اسمه بالجهاد وتحرير القدس, وكان خليفاً بالإمارة, مهيباً, شجاعاً حازماً, مجاهداً كثير الغزو عالي الهمة, تقياً ورعاً.

كردي, ولد في تكريت سنة 532 هـ, وتوفي رحمه الله بدمشق سنة 589 هـ.

سيرته:

قضى صلاح الدين حياته من غزوة إلى غزوة, يسارع للجهاد في سبيل الله ويهبّ لنجدة المسلمين وتطهير أراضيهم ومقاتلة المعتدين من الكفار, وهو أيضاً يهتم بجبهته الداخلية, ويوصي أنصاره بتقوى الله وبحثهم على الصبر والطاعة واجتناب المحرمات, وكان يوقن أن طاعة الله هي الطريق إلى النصر وأن مخالفة أوامره هي الطريق إلى الهزيمة.

نقل الذهبى عن الموفق عبد اللطيف أحد معاصري صلاح الدين قوله:

" أتيت, وصلاح الدين بالقدس. فرأيت ملكاً يملأ العيون روعة, والقلوب محبة, قريباً بعيداً, سهلاً, محبباً, وأصحابه يتشبهون به, يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا), وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حفلاً بأهل العلم يتذاكرون, وهو يحسن الاستماع والمشاركة... "

وارتبط اسم صلاح الدين بالقدس, فهو الذي حرّرها من الصليبيين بعد معارك ضارية, وكانت معركة حطين سنة 583هـ (1187م) التي قادها إحدى معارك المسلمين الخالدة.

محاولة قتله:

لم ترق هذه السيرة وهذا الجهاد لأعداء الله من الباطنية الاسماعيلية الذين كان دأبهم محاربة المسلمين وخذلانهم, ونصرة الكافرين وإعانتهم, وبدلاً من أن يوجهوا سهامهم إلى أهل الكفر والإلحاد, يوجهونها إلى أهل الإيمان والصلاح كما فعلوا ذلك بقتل الوزير السلجوقي نظام الملك عام 485هـ وولده عام 500هـ.

وهذا ما أرادوه للسلطان صلاح الدين كذلك في أحد أيام سنة 571هـ وأثناء حصار عزاز (وعزاز بلدة تقع شمالي حلب وفيها قلعة حصينة, وحاصرها السلطان ثمانية وثلاثين يوماً).

و ينقل الإمام الذهبي ف ي السير(ج 21ص 281) ع ن ابن واصل مؤلف كتاب "مفرج الكروب" في وصف المؤامرة التي انبرى لتنفيذها ثلاثة من الباطنيين جاءوا لقتل السلطان أثناء وجوده في خيمة أثناء حصار عزاز, وبدا عليهم الإصرار لتنفيذ جريمتهم فيقول :

" كانت لجاولي خيمة كان السلطان يحضر فيها, ويحض الرجال, فحضر باطنية في زي الأجناد, فقفز عليه واحد ضربه بسكين لولا المغفر الزرد [1] الذي تحت القلنسوة, لقتله فأمسك السلطان يد الباطني بيديه, فبقي –الباطني- يضرب في عنق السلطان ضرباً ضعيفاً, والزرد تمنع, وبادر الأميربازكوج فأمسك السكين فجرحته، وما سيبها الباطني حتى بضعوه. و وثب آخر، فوثب عليه ابن منكلان فجرحه الباطنى في جنبه فمات, وقتل الباطني, وقفز ثالث فأمسكه الأمير علي بن أبي الفوارس, فضمه تحت إبطه, فطعنه صاحب حمص ناصر الدين ابن أسد الدين شيركوه, فقتله, وركب السلطان إلى مخيّمه, ودمه يسيل على خدّه, واحتجب في بيت خشب, وعرض جنده, فمن أنكره أبعده ".

لقد أجاد ابن واصل في وصف هذا المشهد لهؤلاء الباطنيين المستميتين لقتل السلطان, وأجاد في وصف شجاعة السلطان صلاح الدين.

ولم تفل تلك الحادثة من عزم صلاح الدين كما روى ذلك القاضي ابن شداد المعاصر لصلاح الدين رحمه الله, بل إنه بعد أن وثب عليه الاسماعيلية, ونجّاه الله منهم استمر في جهاده وغزواته.

ويستمر الغدر:

وهذا الغدر والإغتيال لأبطال الإسلام لا يزال يتكرر دوماً من هولاء الزائغين بأصنافهم كلها من باطنية و ملاحدة وشيعية و مبتدعة.

ففي لبنان كم قتل الأحباش من أهل السنة وهم ساجدون لله في بيوته؟!

والشيخ إحسان إلهى ظهير في باكستان قتلته الشيعة!

ومسرحية إهدار دم سلمان رشدى الذى عجزت عنه إيران للآن مع أنها قتلت إمامين سعوديين في بلجيكا فى نفس الوقت الذى صدرت فيه الفتوى!!!

---

[1] زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

وأخيراً الغدر و الإجرام الذى لـم يكشـف كـاملاً بعـد تجـاه المقـاتلين العرب في بغداد .

للاستزادة:

1- سير أعلام النبلاء – الإمام الذهبي ج 21 ص 278.

2- سيرة صلاح الدين الأيوبي – القاضي ابن شداد .

3- هكذا ظهر جيل صلاح الدين – د. ماجد الكيلاني .

إيران والمعارضة العراقية: حدود التأثير وأهداف العلاقة

خالد السرجاني " صحفي بجريدة الاهرام "

يحاول هذا المقال عرض الموقف الإيرانى من الحرب الأمريكية على العراق، وقد كتب قبل اندلاع الحرب، وقد بات واضحاً أن إيران تسعى إلى أن يكون لها موطئ قدم في العراق مستغلة بعض الفصائل الشيعية والكردية, ولذا فإنها تقدم لها الدعم والمساعدة ضد بلدهم العراق.....المحرّر.

خلال الأسابيع القليلة الماضية كانت إيران محور اهتمام المراقبين المعنيين بالمسألة العراقية, ليس فقط بحكم جوارها للعراق, التي تواجه تهديدات امريكية تستهدف شن عملية عسكرية لإسقاط النظام العراقي الحاكم, ولكن بحكم دورها المحوري في الاتصالات التي أجرتها حركات وفصائل المعارضة العراقية بهدف عقد مؤتمرها في لندن, أو تلك التي جرت بهدف تأمين عقد الاجتماعات التنسيقية في مناطق الإدارة الذاتية الكردية في أي من أربيل أو صلاح الدين, وهذه الاتصالات فضلاً عما تؤكده من امتلاك إيران لمفاتيح مهمة ذات صلة بالمسألة العراقية, فهي تعني أيضاً أن لديها تأثيراً مهماً على بعض فصائل المعارضة العراقية الرئيسية, فأكبر التنظيمات العراقية في الوقت الراهن وهو " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية " يقيم زعيمه محمد باقر الحكيم في إيران, ويمثل الشيعة العراقيون الذين تبلغ نسبتهم 60%[1] من السكان حسب معظم التقديرات, وهذا التنظيم المعارض الوحيد الذي يملك قوات نظامية هي " فيلق بدر " وبالتالي هو الوحيد الذي يملك إمكانية عملية للمشاركة في إسقاط النظام العراقي الحالي, كذلك فإن مقاطعة هذا التنظيم وزعيمه لأية أنشطة أو اجتماعات تعقدها أو تقوم بها المعارضة العراقية تعني أن هذه الأنشطة والاجتماعات محكوم عليها بالفشل, أو لا تمثل المعارضة الحقيقية, من هنا نستطيع أن نفهم الزيارات المكوكية التي قامت بها قيادات من فصائل المعارضة قبيل مؤتمر لندن من أجل إقناع باقر الحكيم بالحضور وبمشاركة تنظيمه فيها, كذلك يمكن لنا فهم الأسباب التي جعلت من إيران قبلة للمعارضة العراقية, حيث استقبل مسئولون إيرانيون كبار أقطاب المعراضة العراقية واحداً تلو الآخر بحفاوة غير عادية, فضلاً عن ذلك أعلنت إيران عن اتخاذها الاجراءات التي تجعل طريق الوصول إلى مؤتمر المعارضة في أربيل أو صلاح الدين مفتوحاً أمام الوافدين من الخارج من رجال المعارضة إلى شمال العراق.

---

[1] مختارات ايرانية عدد 31 فبراير 2003

هذه النسبة وإن كانت ترددها وسائل الإعلام بكثرة إلا أنها غير صحيحة, وقد فنّد الكاتب العراقي د. سليمان الظفيري هذه النسبة في مقاله المنشور في مجلة البيان عدد فبراير 2003، ومجلة الوطن العربي 9/5/2003 ويؤكد د. الظفيري أن العراق دولة سنية, وأن السنة سواءً كانوا أكراداً أو عرباً أو من التركمان هم الأكثرية.

التنسيق الإيراني الأمريكي

يضاف إلى ذلك كشف بعض وسائل الإعلام الأمريكية عن اتصلات تمت بين إيران والولايات المتحدة أسفرت عن إتفاق بين الجانبين على إقامة قناة مفتوحة بينهما خلال تعامل الولايات المتحدة مع المسألة العراقية, وشمل الاتفاق حسبما ذكرت هذه الوسائل, إزالة القيود الإيرانية عن تحرك المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق وقواته العسكرية " فيلق بدر " والسماح بإشراكه بشكل مؤثر وفعال في الحرب على العراق, وذلك مقابل اعتراف الولايات المتحدة بدور للمجلس وزعيمه في رسم خريطة الحكم المستقبلي في العراق.

ولكي نفهم رهانات إيران الحالية على المعارضة العراقية, هناك بعض النقاط الجديرة بالتناول, وفي مقدمتها, جذور العلاقات الإيرانية مع المعارضة العراقية بفصائلها المختلفة, وموقع علاقات إيران م ع المعارضة العراقية في السياسة الإيرانية الخاصة بالمسألة العراقية, وما هي أهداف إيران من هذه العلاقات وما يسعى إلى تحقيقه منها.

1-العلاقات مع فصائل المعارضة العراقية:

يقسم باقر ياسين أحد رموز وقيادات المعارضة العراقية مراحل المعارضة العراقية إلى ست مراحل هي: المرحلة السورية, المرحلة الليبية, المرحلة الإيرانية, المرحلة الخليجية, المرحلة الأمريكية, ثم مرحلة انعدام الوزن, وإن كنا نرى أن هذه المعارضة, ومنذ أشهر قليلة مضت, عادت إلى المرحلة الأمريكية, خاصة في ضوء سياسة الإدارة الجمهورية الحالية إزاء المسألة العراقية, وفيما يتعلق بالمرحلة الإيرانية فهي في رأينا تشكل جذور علاقة إيران الاسلامية, وليس الشهنشاهية بالمعارضة, ففي رأي باقر ياسين أن انتصار الثورة الاسلامية في إيران شكل نقلة نوعية كبيرة في مستوى الأنشطة التنظيمية والسياسية وعلاقاتها بالعالم الخارجي.

وخلال ذلك نمت عدة حركات وأحزاب دينية جديدة وظهر قادة دينيون سياسيون حزبيون وغير حزبيين برزوا كقادة ومجاهدين شعبيين أخذت أسماؤهم تلمع سريعاً في الأوساط السياسية وتتردد على نطاق واسع, وقد ساعدت أخطاء النظام في بغداد وإجراءاته القمعية العلنية في مطاردة واضطهاد وسحق أتباع هذه الأحزاب على انتشارها ونموها السريع واتساع شهرتها وتطور استعداداتها الدفاعية في مواجهة تطورات المرحلة السياسية والعسكرية التي شملت دخول العراق في حرب نظامية مع إيران, وقد ركزت السلطات العراقية ضغوطها ومطارداتها الدموية ضد هذه الحركات والأحزاب من دون تفريق واعتبرتها أحزاباً عميلة ومدانة وخائنة يجب تصفيتها بالكامل وإبادة أعضائها خاصة أتباع حزب الدعوة الاسلامية الذي قام أحدهم بمحاولة فاشلة لاغتيال طارق عزيز في بغداد بما أدى إلى إصدار الحكومة قانوناً استثنائياً خاصاً يتعلق بالعقوبات الصارمة الواجب فرضها على أعضاء هذا الحزب التي تصل إلى عقوبة الإعدام على كل من يثبت انتماؤه إليه أو من يقدم مساعدة لأحد المنتمين إليه.

وقد أخذ الصراع بين السلطة والأحزاب الدينية, بعداً طائفياً بعد تنفيذ

حكم الإعدام في الإمام محمد باقر الصدر الإمام المقلد لعموم الشيعة, وعدد آخر من رجال الدين الشيعة من عائلة الإمام الحكيم التي تحظى باحترام ونفوذ واسع بين شيعة العراق, وكان طبيعياً في ظل هذه الأوضاع أن تحظى هذه الأحزاب العراقية الاسلامية بالاهتمام والرعاية من قبل الثورة والدولة الإيرانية الاسلامية فضلاً عن مساندتها للأحزاب الكردية العراقية والتيارات الدينية الاسلامية الكردية.

وقد ظنت بعض أطراف المعارضة العراقية أن الوضع في إيران لا يختلف عن باقي الحكومات والدول التي استطاعت المعارضة سابقاً التقرب بسهولة وإقامة علاقات معها أو خداعها واختراقها بشكل من الأشكال, ولكن أثبت الإيرانيون أنهم محنكون, فقد وضعوا مقاييس واعتبارات شديدة ودقيقة وصارمة تحدد نوع العلاقة التي يمكن أن تقيمها إيران مع هذا الطرف أو ذلك.

وكان التقسيم الإيراني يوزع الأحزاب والكتل السياسية إلى أحزاب إسلامية وأخرى علمانية, ولكن على الرغم من ذلك نجح بعض العراقيين من رموز المعارضة في انجاز بعض الصفقات الخاصة ببيع النفط العراقي أو المساعدة في تنفيذ بعض صفقات السلاح لإيران والحصول على العمولات عنها في الخارج.

ولم يكن الأمر يخلو, حسب قول ياسين, من بعض المواقف الغامضة وغير المفهومة التي اتخذها الإيرانيون تجاه بعض العراقيين, وقد كانت تتذبذب بين التشكيك بهم إلى حد الخيانة وبين الثقة المطلقة فيهم خلال فترة قصيرة من الزمن, وبعد توقف خط ليبيا من العمل والنشاط بدأت المعارضة العراقية تستخدم الخط الذاهب إلى طهران حتى صار يعج بالمسافرين السياسيين المعارضين العراقيين من كل الأشكال ذهاباً وإياباً, ووضع كثير من الأشخاص والحركات السياسية أنفسهم تحت تصرف الإيرانيين بكل المستويات الإيرانية, وكسب رضاهم وثقتهم ومودتهم والحصول منهم على الدعم الإداري والإجرائي والسياسي والمالي.

الأحزاب الكردية

وفي بداية المرحلة الإيرانية سادت الفوضى السياسية وقلة الخبرة لدى المسئولين الإيرانيين المعممين واستطاع بعض العراقيين استثمار عدم معرفة بعض المسئولين في إيران بالشئون السياسية ودفعهم إلى مواقف وآراء خاطئة بل ومضحكة بعد تزويدهم بمعلومات كاذبة ومختلقة, ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً وأصبحت علاقات إيران بالمعارضة العراقية تقتصر على الأحزاب الكردية خاصة الاتحاد الوطني الكردستاني والحركة الاسلامية الكردية, وكان هذا الموقف يأتي انطلاقاً من موقف إيراني ثابت تجاه الشعب الكردي, وأصبحت إيران من خلاله تلعب دور الطرف الأكثر تأثيراً على حركة الشعب الكردي التاريخية بصورة مطلقة, والطرف الأكثر قرباً وتماسكاً مع الأكراد في العراق بغض النظر عن اعتبارات أخرى, وتحاول إيران على الدوام, وعلى الرغم من التطورات المرحلية التي بدت بعد ذلك, أن يكون موقفها منسجماً ومتوافقاً مع الموقف الإيراني التاريخي الثابت تجاه الأكراد منذ بضعة قرون ماضية وحتى اليوم, ويستطيع المتتبع لعلاقة

الأكراد العراقيين بإيران أن يجد تواصلاً ودياً وتوجهاً عاماً قد يزيد وينقص في الدرجة لكنه ثابت يستند إلى الحرص على استمرار الصلة وتوفير الحماية والدعم بجميع الأشكال والمستويات للشعب الكردي إزاء ما يواجه من أزمات وأخطار منذ القرن السابع عشر وحتى اليوم.

المجلس الأعلى

أما الطرف الآخر الذي يحظى بدعم ورعاية إيران فهو " المجلس الأعلى للثورة الاسلامية " وهو التنظيم الشيعي الرئيسي, وعلى الرغم من استمرار حزب الدعوة إلا أن هامشيته دفعت إيران إلى تركيز جل دعمها على هذا التنظيم, ولعل من بين الأسباب التي لعبت دوراً في هذا الأمر العلاقات الروحية التي تجمع بين شيعة العراق وإيران, فضلاً عن الصلات المباشرة بين الحوزات العلمية لكلا البلدين, إضافة لما تتمتع به عائلة الحكيم التي يتزعم أحد أفرادها هذا التنظيم من احترام في إيران, خاصة لدى القيادات الدينية والسياسية الحاكمة, وكانت إقامة الحكيم في إيران أيضاً أحد أسباب تمتين العلاقة بين إيران وهذا التنظيم العراقي المعارض, وقد حظي المجلس بتمثيل قوي في اجتماع لندن وما اسفر عنه من مؤسسات وهيئات تنسيقية, الأمر الذي دفع بعض التنظيمات الهامشية في المعارضة العراقية إلى الانسحاب من المؤتمر احتجاجاً على معاملة الولايات المتحدة لهذا التنظيم واعتبرت أن هذه المجاملة هي من نتائج المغازلة الأمريكية لإيران لكي تسهل الأخيرة للولايات المتحدة العملية العسكرية المنتظرة ضد العراق مثلما فعلت بشأن عمليتها في أفغانستان, ولكن من البديهي أن إعطاء " المجلس " هذا الدور ناتج عن عدة عوامل في مقدمتها تماسكه وامتلاكه ميليشيات عسكرية, فضلاً عن حجم السكان الشيعة بالنسبة إلى سكان العراق, وتدرك الولايات المتحدة أن الدور الرئيسي للمجلس سوف يقوي من الوزن الإقليمي لإيران بعد العملية العسكرية وهذا الأمر لا تريده الإدارة الأمريكية في ظل استهدافها عزل إيران ومحاصرتها إقليمياً.

2-السياسة الإيرانية الحالية إزاء العراق:

حتى هذه اللحظة لا نستطيع القول أن هناك سياسة إيرانية متماسكة إزاء التطورات الراهنة للمسألة العراقية بل إن المتأمل للتصريحات الإيرانية الخاصة بها سوف يلاحظ الازدواجية المعهودة, والانقسام الواضح بشأنها, بما يعبر عن الصراع السياسي الضاري بين جناحي السلطة: المحافظين والإصلاحيين.

اتجاهات

ففي الوقت الذي تتخذ فيه إيران إجراءات على الأرض يعتبرها بعض المراقبين أنها تتكيف مع مطالب الضربة الأمريكية والاستعداد لمرحلة ما بعد صدام, نلاحظ تصعيداً شديداً في لهجة المرشد الأعلى للثورة السيد علي خامنئي المعارضة للولايات المتحدة الأمريكية على خلفية موقف الأخيرة من المسألة العراقية واستعداداتها لشن عملية عسكرية تستهدف إسقاط النظام الحالي وإحلال نظام موال للولايات المتحدة بديلاً عنه, وهذه الازدواجية تفتح الباب أمام تأويلات وتساؤلات متعددة في مقدمتها ما

إذا كانت تعبر عن انقسام في رأس السلطة الإيرانية او على عدم حسم السياسة الإيرانية إزاء هذه التطورات, أو أنها تعبير عن توزيع للأدوار بهدف تحقيق أكبر فائدة ممكنة لإيران في حال غزو الولايات المتحدة للعراق, وأيضاً في حال التراجع عن هذا الغزو.

تيار خاتمي

والمتابع للسلوك الايراني إزاء العراق لن يجد صعوبة في اكتشاف أن هناك رؤيتين بشأن الحملة العسكرية الأمريكية ضد العراق, يعبر عن كل رؤية جناح من أجنحة السلطة, فالإصلاحيون يرون أن الادارة الأمريكية الحالية عاقدة العزم على إنهاء المسألة العراقية خلال وقت قصير, وسوف تنهيها بالطريقة التي أعدت لها, وبالتالي فإن إيران ليست في وضع يمكنها من الوقوف في وجه السياسة الأمريكية, فضلاً عن أن العراق ونظامه البعثي الحالي ليسا هما اللذين يمكن التضحية من أجلهما وفي رأي بعض أنصار هذا الرأي فإن الحملة الأمريكية ضد العراق تمثل فرصة ذهبية لإيران من أجل فتح حوار مع الإدارة الأمريكية الحالية, بما يسمح لها بإزالة العقبات التي تحول دون تطبيع العلاقات بين الجانبين ويفتح المجال أمام علاقات بناءة بينهما في المستقبل وبما يحول دون قيام الولايات المتحدة باستهداف النظام الإيراني بعد العراق, وفي رأي هؤلاء أن هناك مكاسب عديدة سوف تعود على بلدهم من هذا الموقف, في مقدمتها أنها سوف تلعب دوراً رئيسياً في تحديد شكل الحكم العراقي في المستقبل, بما يحول دون أن تكون العراق مصدر تهديد دائم لإيران, أما إذا وقفت إيران في وجه السياسة الأمريكية فإن ذلك سيعطي الولايات المتحدة مبرراً لأن تأتي بحكومة عراقية موالية بصورة كاملة لها, وبالتالي فإن هذا النظام سوف يكون معادياً لإيران.

تيار خامنئي

أما وجهة نظر المحافظين فهي ترفض هذا الرأي جملة وتفصيلاً وتحذر من مخاطر وجود دولة أخرى بعد أفغانستان على الحدود مع إيران موالية تماماً للولايات المتحدة لأن هذا الأمر يغري الأخيرة باستهداف إيران من أجل اسقاط نظامها الاسلامي, خاصة وأن هناك أصوات في الكونجرس الأمريكي, وأوساط على صلة بالادارة الأمريكية تطالب بهذا الأمر, والعملية العسكرية في العراق سوف تسهل على الولايات المتحدة حصار إيران واستهدافها, ويذكر هؤلاء أن العاملين المصلحي والأيديولوجي يجعلان الولايات المتحدة تسعى إلى حصار إيران وعزلها وإسقاط نظامها الاسلامي, فأيديولوجياً يحكم الولايات المتحدة عصبة من اليمين المتشدد تسعى إلى فرض الهيمنة الأمريكية سياسياً واقتصادياً وثقافياً على العالم, ومصلحياً اصبحت الولايات المتحدة تستورد 50% من استهلاكها من النفط. ولما كانت العراق وإيران من كبريات الدول التي تملك احتياطياً كبيراً من النفط فإن السيطرة عليهما أصبح أمراً ملحاً من اجل مستقبل الاقتصاد الأمريكي.

الربح والخسارة

وبالتالي يمكن القول أن الاتصلات التي تتم بين إيران وأركان المعارضة

العراقية تتناغم مع آراء تيار الاصلاحيين الخاصة بالمسألة العراقية وتطوراتها الراهنة, يضاف إلى ذلك أن هناك معلومات تتردد بأن تحركات باقر الحكيم ولقاءاته تتم بالتنسيق مع الرئيس الإيراني محمد خاتمي أو بعض كبار معاونيه, ولكن هذا الأمر لا يعني أن إيران قد حسمت خياراتها بشأن المسألة العراقية, بل يبدو أنه ما زالت لدى النخبة الإيرانية الحاكمة حسابات معقدة ومركبة لمسألة المكسب والخسارة, خاصة في ظل التحركات الإقليمية التي تستهدف منع الحرب الأمر الذي قد يجعل إيران معزولة إقليمياً في حال ما إذا أخذت مواقف لا تتناغم مع بقية دول المنطقة و خاصة وأن الدولة الوحيدة التي تؤيد الحرب هي إسرائيل

وبالتالي فإن اللقاءات التي تتم بين إيران ورموز المعارضة تأتي في إطار الاستكشاف ودراسة حسابات المكسب والخسارة, وأيضاً لتأكيد مركزية الدور الإيراني في إنجاح أو افشال أية سياسة امريكية تجاه العراق, ولتأمين جانب معظم فصائل المعارضة العراقية, خاصة وأن إيران تملك خطوط اتصال متعددة بمعظم هذه الفصائل, وتضع خطوطاً حمراء على بعض هذه المسائل, وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة إلى قيام أحمد الجلبي زعيم ما يسمى بالمؤتمر الوطني العراقي والذي يعتبر بمثابة حامد قرضاي المنتظر في العراق, لما يتمتع به من علاقات قوية مع الإدارة الأمريكية, لأن تنظيمه يعتبر الأكثر قرباً وتبعية للولايات المتحدة, بزيارة لإيران لكنه فشل في لقاء محمد باقر الحكيم, الأمر الذي يعطي مؤشرات حول أن هناك حدوداً لا يستطيع الحكيم أن يتخطاها أو حدوداً لا تستطيع إيران أن تضغط على الحكيم بأكثر منها, وحول تمتع الأخير باستقلالية وحرية في الحركة لا تجعله ورقة ضغط او لعب في أيدي السياسة الإيرانية.

3-ماذا تريد إيران من المعارضة العراقية؟

إضافة إلى العلاقات التقليدية التي تجمع إيران بكل من المعارضة الشيعية والكردية, التي لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تتخلى عنها في الوقت الراهن, خاصة في ظل حسم المعارضة العراقية خياراتها حول المشاركة بصورة أو بأخرى في عملية اسقاط نظام صدام حسين واستثمار العملية العسكرية الأمريكية المنتظرة ضد العراق لتحقيق هذا الهدف, هناك العديد من الأهداف الأخرى التي تسعى إيران إلى تحقيقها من جراء علاقتها الحالية مع معظم فصائل المعارضة العراقية, ولكن وقبل ذكر هذه الأهداف لا بد من الاشارة إلى نقطة غاية في الأهمية وهي أن علاقات إيران مع المعارضة العراقية في الوقت الراهن وهي وإن كانت تركز أساساً على المجلس الأعلى للثورة الاسلامية ويأتي بعده الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال طالباني, إلا أنها منفتحة على معظم الفصائل ما عدا تلك التي لا تمتلك قواعد سياسية على الأرض, أي شديدة الهامشية, أو تلك التي تعتبرها إيران بمثابة أداة في يد السياسة الأمريكية وهذا الانفتاح يستهدف تحقيق أمرين, الأول تأمين جانب النظام الحاكم في عراق المستقبل الذي سوف يكون تعددياً يشارك فيه معظم هذه الفصائل, وبالتالي فإن إيران ترى أن هناك خطورة في أن تلقى بكل ثقلها وراء تنظيمات محددة قد تستبعد في المستقبل, أو قد يكون لها دور هامشي, فضلاً عن أن تركيز إيران على تنظيمين فقط قد يدفع الولايات المتحدة إلى استبعادهما من

اجل تقليل النفوذ الإيراني على عـراق المسـتقبل, ويمكـن أيضـاً ان يسـتفز بقية التنظيمات والفصائل المعارضة.

أما الأمر الثاني فهو أن هـذا الانفتـاح يسـتهدف معرفـة كافـة التطـورات المطروحة من كافة الفصائل, بما يساعد إيران على رسـم سياسـة واضـحة ومتماسكة خاصة بالعراق, أي أن عدم حسـم هـذه السياسـة حـتى الآن هـو أحد اسباب انفتاح إيران على جميع فصائل المعارضة العراقية.

إيران والمعارضة العراقية: الأهداف

أما عن اهداف علاقات إيـران بفصـائل المعارضـة العراقيـة فـي الـوقت الراهن فهـي متعـددة ولكـن يـأتي فـي مقـدمتها 1-تقليـل مخـاطر إسـقاط الولايات المتحـدة للنظـام العراقـي, لأن هـذا الأمـر وإن كـان يمثـل سـابقة خطيرة في المنطقة قد تغرى الولايات المتحدة بتكرارها في إيـران, خاصـة باستخدام الذريعة نفسها التي استخدمت ضد العراق وهي امتلاكـه لأسـلحة الدمار الشامل, إلا أن وجود حكومة عراقية تعددية للمشاركين فيها علاقـات مباشرة سابقة مـع إيـران يعطـي للأخيـرة الشـعور بأنهـا شـاركت فـي هـذا الحدث, وبالتالي لن تعاني من تأثيرات سلبية له, 2-أما الهـدف الثـاني فهـو استخدام هذه التنظيمـات للحصـول علـى تطمينـات أمريكيـة غيـر مباشـرة تتعلق بعدم استهداف إيران في المستقبل وفي هذا الصـدد يمكننـا الاشـارة إلى ما نقلته وسـائل الإعلام حـول قيـام محمـد بـاقر الحكيـم بنقـل رسـائل متعـددة بيـن الولايـات المتحـدة وإيـران حـول تطـورات المسـألة العراقيـة والاشارة أيضـاً إلـى أن جلال طالبـاني زعيـم الاتحـاد الـوطني الكردسـتاني عندما زار إيران في منتصف شهر يناير الماضي عقب زيارة قام بها للولايات المتحدة الأمريكية, قال أنه يحمل تطمينـات أمريكيـة واضـحة لإيـران حـول عدم استهدافها مستقبلاً, وحول تجنيبها النتائـج السـلبية للعمليـة العسـكرية للعراق.

3-أما ثالث أهداف إيران مـن علاقتهـا بالمعارضـة العراقيـة فيتعلـق بـأن إيران تريد أن تلعب دوراً ما في رسم مستقبل العراق بمـا يحقـق مصـالحها الوطنية من جهة ومصالح سكان العراق مـن الشـيعة مـن جهـة أخـرى, وكلا الأمريـن مرتبطيـن وغيـر منفصـلين, وتـرى إيـران أن علاقتهـا بالمعارضـة العراقية سوف تمكنها من هذا الأمر, ولكن السؤال المطروح حالياً هو: هـل تستطيع إيران بعدما ثبت خطأ تصوراتها بشأن أفغانستان, وبعدما سـيطرت الولايات المتحدة تماماً على أفغانستان, بما يشكل تهديداً للمصالح الإيرانية فـي آسـيا الوسـطى, هـل تسـتطيع الرهـان مـرة اخـرى علـى السياسـة الأمريكية, وعلى التطمينات الأمريكية الزائفة؟ نعتقـد أن الإجابـة علـى هـذا السؤال قد تفرض على إيران إعادة ترتيب أولوياتها بشأن سياستها الخاصـة بالعراق, وأيضاً بشأن رهاناتها حول المعارضة العراقية.

الثورة الإيرانية وجيلها الثالث

احتفلت إيران هذا العام بذكرى انتصار ثورتها الإسلامية وسط علامات استفهام كبيرة تشغل بال قادتها ومثقفيها. بل وجموع الشعب بمختلف طوائفه وفئاته وأحزابه, وتتركز علامات الاستفهام حول مستقبل قضايا الثورة والنظام بقدر أكبر من مستقبل المنطقة وأحداثها الملتهبة, ورغم أنه من البديهي أن تؤثر أحداث المنطقة والحرب الأمريكية على العراق في مجريات الأمور داخل إيران إلا أن هذا التأثير يحدث نوعا من المراجعة للقضايا الكبيرة التي تحتاج إلى حسم على الساحة السياسية في إيران في إطار المناداة بالوحدة الوطنية في مواجهة المستجدات الخارجية, ويأتي على رأس القضايا المثارة موقف الجيل الثالث للثورة من تطوير النظام السياسي وتوجهاته التي سوف تنعكس بالضرورة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي, ومن ثم فان الجيل الأول الذي قام بالثورة قلق من إنحراف الثورة عن مسارها الذي أفرز الجمهورية الإسلامية بعد عهود طويلة من الملكية الشاهنشاهية ودعم نظام ولاية الفقيه وقيادة علماء الدين للمسيرة, كما أن الجيل الثاني الذي قاد حركة الإصلاح السياسي قلق من أن يؤدي عجزه عن إتمامها إلى تطرف الجيل الثالث الذي يتطلع لقيادة الثورة في المرحلة القادمة, يقول المحلل السياسي علي رضا أحمد يان: بالنظر إلى الغضب الكامن بين أغلبية الجيل الثالث من عدم تطور البرامج الإصلاحية التي وعد خاتمي مرتين بتنفيذها, يمكن أن يؤدي إلى اتساع المظاهرات والاعتراضات الطلابية واتجاهها إلى العنف أو القيام بحدث غير متوقع (همشهري في 22/11/2002).

جماعة فدائي الإسلام

من الواضح عودة ظهور جماعات ثورية متشددة كحزب الله, كانت قد أوقفت نشاطها مثل منظمة فدائي الإسلام التي نزلت الساحة بكل ثقلها لقيادة الجيل الثالث للثورة كما وضح من عنوان أول عدد لصحيفتهم منشورالأخوة (منشور برادري) التي عادت للصدور بعد توقف طويل لتقول في أبرز عناوين الصفحة الأولى أن الجيل الجديد من فدائي الإسلام قد أمسك براية الجهاد وهو ما يعني وفق ما جاء

* مختارات إيرانية العدد 33 ابريل 2003

في مقالات الصحيفة أنه ينوي قيادة الجيل الثالث للثورة متخذا أسلوب الجهاد.

منظمة مجاهدي خلق

وفي المقابل, شجع نجاح كل من بهزاد نبوي محمد باقر ذو القدر ومرتضى الويري (قادة منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية التي كانت تضم سبع جماعات جهادية مسلحة عند قيام الثورة) بوصول الأول إلى مقعد نائب رئيس السلطة التشريعية، والثاني إلى مقعد نائب قائد حراس الثورة الإسلامية، والثالث إلى مقعد رئيس مجلس العاصمة. شجعهم هذا النجاح على إحياء منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية لتتخذ مكانها على الساحة السياسية وتضع جيلها الثالث على منصة القيادة تحت مظلة الإصلاحيين. وعندما سئل زعيمها بهزاد نبوي عما يقصد بقوله إننا مستمرون في طريقنا، أجاب بان عيون الأجنحة المنافسة للمنظمة مسلطة عليها, وهم يروجون

دائما أن المنظمة لم تعد صالحة للقيام بدور مستقبلي، وأن المنظمة لم تعد شرعية بعد إن طلب ممثل الإمام الخميني في المنظمة في ذلك الوقت بحلها. وان الصدام مع المنظمة ليس أمراً جديدا، ونحن ندركه جيدا ونعتقد أن بعض العناصر المعارضة للإصلاح تعتبر المنظمة حجر عثرة في طريقها وحائلا دون وصولها لأهدافها، ولكننا لن نسمح لها بالضغط علينا. إن وجود منافسين كثيرين على الساحة هو رد فعل لحركتنا الإصلاحية وهم يشعرون أن ثبات موقف الإصلاحيين ومطالبتهم بزيادة صلاحيات الرئيس وتعديل قانون الانتخابات قد أوجد المجال لصدام أشد ولرد فعل أعنف مما يعني حركة مماثلة من جانب الإصلاحيين وتوقعات بإعلان حالة الطوارئ, ولكنني أؤكد أنها مجرد شائعات لإحراج الإصلاحيين ووقف حركتهم ولكننا مستمرون في طريقنا. (همشهري في 18/1/2003).

حزب التضامن

وعندما سئل إبراهيم أصغر زاده أمين عام حزب التضامن (وهو الحزب الذي انسلخ عن حزب المشاركة وتكتل الثاني من خرداد) عن سر عودته من جديد للساحة السياسية بعد فترة اعتكاف. أجاب بأنه رأى أن الوقت قد حان لجعل الحركة الإصلاحية حركة في إطار لا يسمح بسقوط النظام. ولقد رفعنا ثلاثة شعارات أساسية هي الحرية والمساواة والاخوة في مواجهة محاولات بعض الجنرالات والقادة للسيطرة على الساحة. لا يجوز للنخبة السكوت واللامبالاة فقد ولى زمن التسكين تحت دعوى الخروج من الأزمة. إنني لست محرضا للطلاب ولكني مدافع عن حقوق الناس ولا أقبل بالسكوت أمام تضييع الحقوق ولا أقبل بالراديكالية الأصولية ولا بالتطرف وان كنت أقبل بالراديكالية الدستورية. (إيران في 19/1/2003).

مكتب دعم الوحدة

أما مكتب دعم الوحدة (دفتر تحكيم وحدت) وهو يمثل التيار القوي بين الجماعات الطلابية الإسلامية وهو تيار قومي ديني يميل إلى المثقفين الدينيين في فكره السياسي ويسعى للتواؤم مع حزب المشاركة في أغلبه. لكن أقليته أكثر ميلا لمجمع علماء الدين المناظرين (روحانيون مبارز). وتسعى حركة هذا المكتب إلى أحياء الحركة الطلابية كقوة مؤثرة على الساحة. وقد أثبتت قوتها مع الأحداث خاصة مع صدور حكم إعدام اغاجري أستاذ الجامعة وأحد زعماء منظمة مجاهدي الثورة مما جعل الطلاب يطلقون على المكتب (قيادة خلق التوتر في الجامعات)، وقد قامت قوات الأمن باعتقال عدد من زعمائه. ثم أطلق سراحهم بأمر من الزعيم. ولعل توجههم الآن ينحصر في التفكير في كيفية تجاوز مرحلة خاتمي الإصلاحية (همشهرى في 30/11/2002).

ولاية الفقيه

لقد حاول أية الله خامنئى زعيم الثورة الإسلامية إن يلفت النظر إلى خطورة هذه القضية لأنها لا تهدد مستقبل النظام فحسب. بل تهدد المؤسسة الدينية والمذهب الشيعي في إيران. لان عملية دمج الدين بالسياسة نظرية راهن علماء الدين الشيعي بمستقبلهم عليها واخذوا بكل حزم على يد كل من عارض هذه النظرية حتى ولو كان منهم. وجعلتهم

ثقتهم في هذه النظرية يقدمون الأماني والحلول لجماهير الشعب التي غامرت معهم بقبولها. وقد نجحوا في بادئ الأمر في تحقيق وحدة وطنية بين أعراق شتى لم تتحقق بهذا الشكل من قبل ولا في عصر الدولة الصفوية التي جعلت المذهب الشيعي مذهبا رسميا لأول مرة في إيران وأقامت المؤسسة الدينية على نحو لم يكن له شبيه في العالم الإسلامي. وقد أتاحت تلك الوحدة الوطنية للنظام الصمود أمام الضغوط الأجنبية المعادية خاصة إبان الحرب العراقية الإيرانية التي كان يمكن إن تعصف به. ورغم إن القيادة الإيرانية قد نجحت اكثر من مرة في تطوير النظام السياسي من الداخل مع إعطاء الجيل الثاني الفرصة للتعبير عن نفسه. والحصول على نصيب من القيادة سواء من خلال السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية إلا أن مفاتيح التطوير الحقيقي ظلت في يد القيادات التي تتمركز حول الولى الفقيه في محاولة للإبقاء على عناصر النظرية ورموزها. ومن هنا ظل التطوير حلقة مفقودة في ظل الصراع القائم بين ممثلي الجيلين الأول والثاني ومع سعي الجيل الثاني للاستعانة بالجيل الثالث لمناصرته ظهرت قضية خطورة موقف خاص يتخذه الجيل الثالث وقد انتقد خامنئى خلال لقائه مع العاملين في أجهزة الإعلام (4/2/2003) ضمن الاحتفال بذكرى الثورة أولئك الذين يحاولون تغيير ذوق الشباب في حين أن الجيل الثالث يتمتع بأنه طموح ولديه الطاقة والحيوية ومصمم على المطالبة بالعدالة, مؤكدا أن الثورة رغم ما لها من سلبيات هي حركة مستمرة من اجل تغيير جميع الأسس الخاطئة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لذلك طالب بزيادة قيم العدالة بين الناس والإبقاء على قيم الثورة في أذهانهم والمحافظة على الهوية الدينية والثورية وفضح تهديدات الأعداء ودعم الروح المعنوية للمسؤولية والإدارة وتحديد العدو الأصلي وترك الأعداء الوهميين ودعم التفاهم الاجتماعي وإيجاد الأمن النفسي للناس وتقوية الأمل في المستقبل وزيادة حساسية الناس تجاه محاولات الأعداء إيجاد الفوضى في المجتمع. كما حذر هاشمي رفسنجاني رئيس مجمع تحديد مصلحة النظام من أن العدو يسعى لإضعاف مكانة علماء الدين وولاية الفقيه وصرف الناس عن منجزات الثورة (همشهري في 2/2/2003م).

وفي هذا الإطار أكد خاتمي أن من الضرورات الهامة لنجاح نموذج القيادة الشعبية الدينية الإجابة على التساؤلات والاحتياجات الملحة للجيل الثالث, وليس الحل في إنكار هذه التساؤلات والاحتياجات, بل السعي لتلبيتها. فإذا رأينا أننا لا نملك القدرة على ذلك فإن علينا أن نعيد النظر في مرئياتنا (اطلاعات في 2/7/2002). ويقول عبد الواحد موسوى لاري وزير الداخلية: إن إقرار الصلة بين الجيل الأول والثاني والثالث يخلق مجالاً لدعم النظام, وإن القيم والمفاهيم التي يحترمها الجيل الأول تنتقل بشكل ما إلى الجيل الثاني الذي لم يشارك في صنع أحداث الثورة. وهي الآن ما يطالب به الجيل الثالث (كيهان في 20/6/2002).

التأثر بنواب صفوي وعلي شريعتي

لقد كان حوار الصحف التي تعبر عن انتماءات الجيل الثالث للثورة مثار قلق القيادات والنخبة السياسية, حيث أثارت الجرأة التي اتسمت بها

صحيفة (منشور الأخوة) التي تتحدث بلسان منظمة فدائي الإسلام مجلتين إصلاحيتين هما مجلة المصابيح الأربعين (جلحراغ) وهو لقب لأحد أبناء أئمة الشيعة أيضاً وضريحه في مدينة شيراز الناطقة بلسان الجيل الثالث لحزب المشاركة الإسلامي أكبر الأحزاب الإصلاحية وصحيفة روضة إيران (كلستان إيران) التي يرأس تحريرها أصغر رئيس تحرير إيراني وتتحدث بلسان تكتل الثاني من خرداد الإصلاحي فقامتا بالرد على موقف الجيل الثالث لفدائي الإسلام واتهمتاه بالتناقض لأنه يجعل قدوة له رائدين مختلفين فكراً وسلوكاً أحدهما (نواب صفوي) صاحب الفكر الثوري المتطرف المعادي لليبرالية وصاحب السلوك الثوري العنيف والذي قام باغتيال رئيس وزراء الشاه (حسين علي منصور) وقد قبض عليه وأعدم, أما الثاني فهو الدكتور علي شريعتي أستاذ علم الاجتماع والمفكر الثوري المتزن صاحب النظرية الإصلاحية التي دخلت ضمن الفكر العام للثورة الإسلامية ضد نظام الحكم الملكي الرأسمالي المستبد.

كانت الإثارة واضحة في افتتاحية منشور الأخوة (5/9/2002) التي تقول: لقد جئنا لنقول أيها المتحصنون اللصوص, أيها المتحفزون المجرمون, أيتها الثعالب القذرة ها هو الجيل الجديد لفدائي الإسلام قد أمسك راية الجهاد مثل (نواب صفوي) مبايعاً مع أبناء الخميني الكبير من جنود التعبئة العامة (الباسيج) زعيمه وقائده تحت ظل ولاية إمام الزمان, ومستعداً لاقتلاع الظلم والفجور في العالم, كما حفلت الصحيفة بالعديد من العناوين المثيرة, مثل: البرنامج الثوري لفدائي الإسلام يستهدف إدارة دولة إسلامية فلتقطع يد السارق بدلاً من أن يستريح في سجن المجون, ترويج سفور النساء في فندق الحرية بطهران, سندافع عن حقوق الفقراء حتى آخر قطرة دم, وقد أكدت المحللة السياسية بروين إمامي أن ما حدث في يوم الطالب بلور حقيقة هامة وهي أن الحركة الطلابية تعترض على كل نوع من المطلق السياسي وأنها تمضي نحو الاستفادة من تجارب السلف, وأن الجيل الثالث من أجل تحقيق أمانيه يطالب بآلية من نفس نوع وعيه وعقلانيته, ويحبو نحو تقعيد الأصالة الفكرية في هيكل حركته النشطة في مواجهة مع ثقافة العنف, فضلاً عن إعادة بناء وتوسيع قواه الداخلية في إطار ممارسة الفكر والابتعاد عن المواجهة مع الحركة الإصلاحية (همشهري في 7/12/2002).

كان من الممكن أن ينظر قادة النظام لحركة الجيل الثالث على أنها اندفاعة شباب إلا أن ما أزعجهم هو تبني الجناح اليميني المحافظ لشباب فدائي الإسلام رغم تطرفهم الثوري الذي يقترب من اليسار المتطرف وذلك في مواجهة الإصلاحيين وجيلهم الثالث مما زاد الأمر تعقيداً لأن هذا الجيل سوف يستقل عاجلاً أو آجلاً وسوف يسحب خلفه الجيلين السابقين, ولن يكون الصراع بين اتجاهين في الجيل الثالث فحسب, بل سيكون متعدد الأطراف أي بين أجيال تمثل الثورة بجناحيها المحافظ والإصلاحي, وقد دفع هذا الأمر قيادات النظام إلى محاولة إيجاد منافذ للخروج من هذا المأزق مثل إعادة التأكيد على ضرورة التوحيد بين الحوزة الدينية والجامعات لمواجهة التحركات الطلابية التي تستهدف هتك قيم النظام, كما سماها آية الله جنتي رئيس هيئة الرقابة على القوانين في خطبة الجمعة (20/12/2002).

الحوزة والجامعات

كانت الدعوة إلى التوحيد بين الحوزة والجامعات كأساس إستراتيجي من أسس النظام وكنقطة التقاء لتثبيت قيم الثورة قد ظهرت منذ الشهور الأولى لقيام الثورة وخطت خطوات كبيرة نحو التطبيق ولكنها اصطدمت بدعوى الانطلاق والحرية من قبل الجيل الثالث, وقد قاد آية الله خامنئى هذه المرة بنفسه إحياء هذه الدعوة مؤكداً أن الحوزة والجامعة هما منبر تشجيع وتقعيد الحركة الفكرية للشباب والإجابة على التساؤلات ودعم المناظرات العلمية وتنظير الأساليب, ودعا خامنئى الحوزة والجامعة إلى تحويل النظرية والفكر إلى قيمة عامة, مؤكداً أن حرية الفكر والقلم والبيان ليست شعارات دعائية وإنما هي من الأهداف الأساسية للثورة الإسلامية وأن الحرية والأخلاق والمنطق إذا اجتمعوا على صعيد واحد فتلك بداية دورة جديدة للابتكار العلمي والفكر الديني السامي في المجتمع، وقد أيد خامنئى مطلب الجيل الثالث بإنشاء ثلاثة كراسي علمية حرة لجمعيات علمية محايدة ومتخصصة في كل الحوزات والجامعات، أحدها للتنظير والثاني، للرد على التساؤلات والشبهات, الثالث للنقد والمناظرة, مضيفاً إلى هذا الاقتراح أن لا يقتصر إنشاء هذه الكراسي على بعض الفروع الفكرية الدينية أو العلوم الاجتماعية والإنسانية, بل يشمل كافة العلوم النظرية والعملية وحتى العلوم الأساسية, وأنه يجب التمهيد والإعداد الجيد ووضع الأسس لهذه الكراسي حتى لا يهبط مستواها أو أن تصبح إعلامية, كما طلب من إدارة الحوزة العلمية الدينية في قم أن تعطي الفرصة للمراجع وآيات الله العظام والأساتذة والباحثين البارزين في الحوزة للمشاركة في هذا الأمر، كذلك طلب من المجلس الأعلى للثورة الثقافية ورئيسه إدراج تنفيذ هذا المشروع على رأس جدول أعماله، معرباً عن أمله في ألا يتعرض المشروع في مراحله التنفيذية لمعوقات بيروقراطية على أن يؤتي ثماره في الذكرى الخامسة والعشرين لانتصار الثورة الإسلامية ومطالباً هذا الجيل بالحرص على الطرح المنطقي للمثل العليا بلا يأس أو تعجل حتى تثمر وتزدهر لأن الجيل الثاني عانى من الإفراط والتفريط في حين أن سبيل التلاقى والتكامل هو في النشاط الاجتهادي والإنتاج الفكري العلمي والديني وليس في الجمود والتحجر، ولا في العمالة والتقليد، وإن اتجاه الجيل الثالث لهذا السبيل في حد ذاته انتصار وإنجاز وينبغي أن نقدره ونشجعه. فعندما تدرك النخبة نقطة التعادل بين الفوضى والدكتاتورية وتؤكد عليها نكون قد بدأنا عهداً جديداً، لا ينبغي أن نخشى الحرية أو أن نهرب من المناظرة أو أن نحول النقد إلى سلعة مهربة أو تشريفات للمجاملة، كما ينبغي ألا تنزلق إلى تحويل المناظرة لجدال ومراء، والحرية إلى شراك الفضيحة والتهرب من المسؤولية فالثورة ينبغي أن تبقى وأن يثمر برنامجها التاريخي والعالمي. (همشهري في 6/2/2003) وقد عاد خامنئي ليؤكد هذا المعنى في كلمته إلى الحجاج موضحاً أن القيادة الشعبية الحقيقية هي القيادة الشعبية الدينية التي تستند إلى الإيمان والمسؤولية الدينية, وهي أكثر أماناً وصدقاً وشعبية من أمثال الديمقراطية الأمريكية التي تريد أن تفرضها على العالم العربي والإسلامي والتي تجلب الخسارة بقدر ما يجلب رصاصها وقنابلها وصواريخها.(كيهان في 10/2/2003).

تطوير ولاية الفقيه

إذا كانت قيادة الثورة الإسلامية الحالية باستجابتها لبعض مطالب الجيل الثالث قد قدمت بعض التنازلات من أجل استمرار نظام ولاية الفقيه في الحكم فإن هذا يأتي في إطار محاولة التفاعل مع المستجدات وتطوير نفسها مع الوقت والأحداث، فمن الواضح أن شعار القيادة الشعبية الدينية الذي رفعه الرئيس محمد خاتمي كأسلوب لعمل القيادة التنفيذية في فترة رئاسته الثانية ليس إلا تطويراً لنظرية ولاية الفقيه وإلباسها ثوباً عصرياً ولعلها الصفقة التي عقدها خاتمي مع قيادة الثورة عند ترشيحه لفترة رئاسة ثانية والتي عبرت عنها دموعه أمام عدسات التلفزيون بعد أن قدم أوراق ترشيحه، وتأتي استجابة خامنئي المباشرة لمطالب الشباب الآن تطويراً جديداً لأسلوب التعامل الشعبي مع ولاية الفقيه، فالكراسي التي وافق عليها هي بمثابة قنوات اتصال متقدمة فتحها لهذا الغرض، فإذا نجحت التجربة فهذا معناه استمرار النظام مرحلة أخرى بدعم من الجيل الثالث للثورة.

الحوزة والأمة ومستقبل فلسطين

حوار مع الإمام الشيرازي

- **أجرى الحوار:** الشيخ زكريا داوود
- **تاريخ الحوار:** 14/5/1422 هـ
- **مكان الحوار:** منزل سماحة آية الله العظمى السيد محمد مهدي الشيرازي في قم المقدسة.
- **أعده للنشر:** الشيخ صالح جاسم آل عيد (عالم دين – السعودية)

أجرت مجلة البصائر الشيعية مقابلة مع المرجع الشيعي محمد مهدي الشيرازي قبل موته, نضعها أمام القارئ كي يتعرف على بعض جوانب التخطيط الشيعي وسعيهم لنشر مذهبهم بشتى الوسائل من خلال الكتب والمنشورات وإنشاء الجمعيات.... كما تظهر المقابلة منهج " اللاعنف " الذي يتبناه الشيرازي حيث يرى أن التصدي لليهود وظلمهم في فلسطين يكون بالاحتجاج! والمقابلة ننشرها كما هي على الرغم من ركاكتها وضعف لغتها وأسلوبها.....المحرّر.

مقدمة (توطئة)

الإمام آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي(1347 – 1422هـ) قمة من القمم الشامخة, وشخصية عظيمة ساهمت بشكل كبير ليس في تطوير الواقع الشيعي أو المرجعي فحسب, بل شخصية ساهمت بشكل كبير في تطوير الفكر الاسلامي في جميع اتجاهاته الاصلاحية والتغييرية ومدرسته الفكرية وما تحمل من تنوع عظيم وكبير في الرؤى رائدة التطوير والعمل, وخصوصاً في واقعنا ومجتمعنا, حيث خرّجت هذه المدرسة الفكرية جيلاً مؤمناً بالتغيير والاصلاح, وأخذ هذا الجيل ينمو حتى اصبح شريحة واسعة من النخب الفكرية والسياسية والدينية والفقهية, فتأسست المدارس العلمية, والنوادي الثقافية.

* مجلة البصائر – العدد 27 – السنة الرابعة عشرة ربيع 1424 هـ 2003م.

والمراكز التي تمارس أنشطة توعوية متعددة, وكانت " مجلة البصائر " إحدى ثمار هذه المدرسة الفكرية العريقة, وقد كان لنا هذا اللقاء مع سماحة الإمام الشيرازي, في بيته المتواضع وفي تلك الغرفة المتواضعة, في تاريخ 14/5/1422هـ, اي قبل وفاته بما لا يزيد عن خمسة أشهر, وقد كان لقاءً ودياً, وكنا نشعر بتعامل الأب الموجه الذي غمر أبناءه بالعطف والمحبة, وقد تخلّل حديثنا المسجّل, بعض التقطعات التي غمرنا سماحة الإمام فيها بالكثير من التوجيه والمعلومات المفيدة, وها نحن نقوم بنشر هذا اللقاء لقرائنا الكرام, وتعبيراً منا بالوفاء والعرفان لمرجعنا العظيم.

البصائر: سماحة الإمام:يعتبر سماحتكم من رواد النهضة الحضارية, ومن الشخصيات المؤثرة في نشر الوعي الاسلامي داخل الأمة, وأنتم كذلك مرجعية دينية رائدة, وقد كانت الحوزة هي المحطة الأولى في تكوين شخصيتكم وتوجهاتكم النهوضية, فكيف تنظرون للحوزة خصوصاً بعد التحولات السياسية التي حدثت ونشوء دولة يقودها العلماء؟.

سماحة الإمام: في تصوري إن حوزاتنا لا تتمكن من فعل شيء إلا بشرط شورى المرجعية, مثلاً خمسة من المراجع في قم وثلاثة مراجع في أصفهان وأربعة في النجف يكوّنون مجلساً للشورى بينهم, يقود هذه الأمة في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية, أما الأمور العبادية الفردية فكل واحد واجتهاده فيها, هذه الشورى ضرورية لقيادة الحوزة للأمة, اما أن يحضر المرجع إلى مجلس الشورى بنفسه أو يحضر وكيله.

أنا أتذكر قبل خمسين سنة أن (البابا) ومؤسساته كانت في الدرجة الثالثة من حيث عدد المبلغين, والأزهر كان ثانياً من حيث مبلغيه وعدد علمائه, والنجف كانت الأولى, اليوم انعكست الآية فالصحف تتحدث عن ستة ملايين مبشر مسيحي تحت سلطة (البابا), بينما الأزهر يمتلك مئتي ألف روحاني, وقم القوية بالحوزات الشيعية لديها أربعون الف عالم فقط, يعني خلال نصف قرن انعكس الوضع تماماً, ولذا ترى أن (للبابا) التأثير الأكبر.

وشخصياً قرأت في مجلة العالم الاسلامي (السعودية) السنة الماضية[1] أن (البابا) تمكن من تحويل ستين ألف إنسان إلى المسيحية يومياً, ستون ألفاً عدد هائل!

وقبل مدة جاءني ثلاثة أشخاص, سألتهم: من أين أنتم؟

قالوا: من طاجيكستان.

فسألتهم عن أوضاعهم.

قالوا: إن كل شيء سيء.

فسألتهم لماذا؟.

قالوا: إن خمسين ألف شيعي تحولوا إلى المسيحية.

من يجب أن يخطط لحفظ هذا الكيان وصيانته؟.

مراجع التقليد بدون شك... وكيف ذلك؟.

باتحادهم, فإن في الاتحاد قوة, والدعوة إلى الاتحاد والشورى, ليست في الأحكام العبادية الشرعية, فهذا يقول: الكر أربعين شبراً, أو ثلاثة وأربعين, لا كلٌّ على رأيه في هذه المسائل, أما ما يهم الأمة من قضايا السياسية والاقتصاد والاجتماع, وتبليغ الدين, والوقوف امام الكفار ومخططاتهم وألاعيبهم, كل ذلك يحتاج إلى شورى, وإلا فإن الحوزة ليست حوزة وهي كذلك اليوم!.

---

[1] سنة 1421 هـ

العراق الذي كانوا يخافون منه أشد الخوف, العراق الذي أخـرج الإنجليـز على يد الميرزا محمد تقي قائد ثورة العشرين... وقد سمعتم به.

العراق اليوم تقتل مراجعه, في يوم قتلوا الشـيخ الـبرجودي وهـو مرجـع تقليد ويوم آخر قتلوا الشيخ الغروي وهو مرجع تقليد كذلك, ويوم آخر قتلـوا السيد بحر العلوم وكذلك السيد الصدر.

ومن يطالب بدماء هؤلاء المراجع؟!.

غاية ما نفعل أن نقيم مجلـس فاتحـة, ونـبرق برقيـة تعزيـة... وهـذا كـل شيء!

الآن العالم في النجف الأشرف لا يتمكن أن يخرج من بيتـه, كيـف كنـا؟! وكيف صرنا؟! هذا هو شأن المرجعية.

كل ذلك وشورى المرجعية مفقـودة واللـه سـبحانه وتعـالى فـي القـرآن الكريـم قـال ((وأمرهـم شـورى بينهـم))[1],والرسـول أمـر بالشـورى, وكـان يستشير الناس, وكان يستشير حتى النساء في موارد متعددة.

قد تقول أن الشورى غير ممكنة ولكن علـى العكـس هـي ممكنـة ولكـن نحتاج إلى نشر ثقافة الشـورى بيـن النـاس, يعنـي أن تـبيّن الشـورى لألـف إنسان, أو عشرة آلاف إنسان والآخر لألف ولعشرة آلاف, وأنا لألـف إنسـان ولعشرة آلاف وهكذا.

البصائر: في ظل التطور الكبير الذي حـدث فـي العـالم, وخصوصـاً فـي العشرين سنة الماضية أصبحت المجتمعات متقاربة جداً كيف يقـرأ سـماحة الإمام مسيرة الحوزة العلمية, وهـل قـدمت ثقافيـاً وعلميـاً مـا كـان يؤمـل منها؟

سماحة الإمام: لم تقـدم ولا عشـرة بالمئـة, وهـذا الواقـع, وكـل جماعـة بقائدها ولا يوجد قيادة....

البصائر: منذ السبعينات ونحن نسمع أصواتاً كثيرة داخل الحوزة العلميـة وخارجها تدعو إلى تجديد المناهج بحيث تتلاءم مع العصـر والتطـورات الـتي حدثت ما هي نظرة سماحة الإمام حول هذه الدعوة؟ وهـل الحـوزة حقيقـة بحاجة إلى تجديد المناهج؟ أم بحاجة إلى شيء آخر؟

سماحة الإمام: في نظري تحتاج الحوزة:

أولاً: إلى شورى المرجعية.

ثانياً: أنا أذكر حينما كنت طالباً في العراق قرأت الطب شخصـياً وكتبـت في الطب, وقرأت الفلك, وقرأت الحساب, وقـرأت الهندسـة, وكـانت كـل المناهج موجودة في الحوزة.

فإذا كنـت تقصـد بتجديـد المناهـج أن تـأتي بمناهـج أقـوى مـن المطـول وأحسن وأفضل من المغني, أو افضل من الشمسية, فجئ بها, أما أن تـأتي بكتاب لمجرد أنه جديد, أو مؤلفه جديد, فلا, يجـب أن يكـون المنهـج البـديل أفضل من القديم حتى يستبدل.

---

[1] سورة الشورى, الآية 38

البصائر: سيدنا في داخل الحوزة العلمية وخصوصاً في إيران تيارات فكرية متعددة كالمدرسة الفلسفية, ما وجهة نظركم سيدنا حول هذه المدارس؟.

سماحة الإمام: فيها أخطاء كبيرة في الحقيقة.

وفي أيامنا في العراق لم يكن أحد يقرأ للمدرسة الفلسفية أبداً, صحيح أن شرح الباب الحادي عشر كان متعارفاً عليه, لكن الفلسفة لم تكن أبداً في بلادنا, وحتى في قم في زمن السيد البرجوردي (1292 – 1380 هـ) لم تكن تدرّس الفلسفة, فقد كان تدريسها محرماً, فقد قام السيد البرجوردي بسد الأبواب التي كانت تدرّس الفلسفة.

وفي تصوري أن تطور تدريسها اليوم هو أمر مؤقت لأن المرجعية مخالفة للفلسفة.

البصائر: الحوزة تعتبر من اهم القنوات التي تربي الشخصيات العلمية وخصوصاً داخل الإطار الشيعي, لكن ما نراه في القرن الأخير أن الحوزة لم تنجب شخصية قوية تؤثر بشكل كبير فيها وبالأخص في الجانب العلمي فما هي اسباب ذلك؟.

سماحة الإمام: سبب ذلك أن الحوزة العلمية في المائة سنة الأخيرة أبتليت بالاستعمار, الميرزا الكبير (1230-ـ 1312هـ) حارب الاستعمار البريطاني في إيران وهذا يأخذ من فكره وجهده ووقته, والإنسان ليس له وقتان, مرة يحارب ومرة يعمل, وهكذا كان الوضع بالنسبة لبقية العلماء والمراجع, بعد ذلك جاء الآخوند الخراساني (1255-1329هـ) صاحب الكفاية, وحارب الاستبداد في إيران في قصة مشهورة ومعروفة بالمشروطة.

الميرزا محمد تقي (ت 1321هـ) حارب الاستعمار البريطاني في العراق أما العلماء الذين جاؤوا بعدهم مثل السيد الحكيم (ت 1390هـ) والسيد المرعشي (1315-1411هـ) ما كان عندهم وقت واقعاً, نفس السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت 1365هـ) حارب, ولكن رأى أنه لا يتمكن فترك, السيد الحكيم كان من المحاربين وقد قال لي بنفسه: إنه كان من المحاربين, السيد المرعشي قال لي بنفسه: أنه من المحاربين.

تشكيل الأحزاب

البصائر: سماحة الإمام أنتم من الداعين وبشكل كبير إلى تشكيل التنظيمات والأحزاب في الأمة الاسلامية وتعتبرون هذا الأمر أحد عوامل النهضة, لماذا لم تتجه الحوزة العلمية هذا الاتجاه النهضوي والعصري؟

سماحة الإمام: الخوف من الأحزاب – وقد تحدثت عن هذا الأمر[1]- كانوا يخافون من الأحزاب بكثرة,لأنهم رأوا الحزب الشيوعي في العراق, ورأوا الحزب البعثي, فخافوا من الأحزاب.

شيوعي, بعثي, قومي, ديمقراطي منحرف, ولهذا خافوا من الأحزاب.

[1] راجع كتاب: السبيل الى انهاض المسلمين, تأليف سماحة آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي (رحمه الله تعالى).

أنت إذا رأيت خياطاً يسيء, وخياطاً ثانياً يسيء, وثالثاً يسيء, تقول: إن كل الخياطين هكذا.

هذا هو الواقع... الأمثلة التي كانت في الساحة من الأحزاب كانت سيئة للغاية.

البصائر: سيدنا إذا كان هذا واقع الحوزة العلمية تجاه الأحزاب, فما هو السبيل لتوجيه الحوزة لتنشىء أحزاباً دينية نهضوية تحمل همّ الأمة وتسعى لقيادتها؟.

سماحة الإمام: أولاً يجب أن تتكوّن جماعة من المؤمنين الصالحين يتولون أمر الحزب, ويجب أن يعرف الناس انهم مستقيمون مستمرون في الاستقامة, عند ذلك تؤمن الحوزات, لأن الناس لا تؤمن بالأفكار المجردة, الناس يؤمنون بالأشخاص... هذه قاعدتهم.

الكنيسية في الغرب قامت بمفاسد[1] تعرفونها... مائة ألف إنسان في كل أوروبا كتبوا كتباً حول الأحزاب الحرة... مائة ألف إنسان, أنا قرأت عن هذا, بعدها تكوّنت الأحزاب.

الوحدة الإسلامية

كم قتلوا؟ وكم سجنوا؟ وكم عذّبوا؟ وكم شرّدوا حتى تكوّنت الأحزاب؟ لقد حدثت مآس حتى آمن الناس بضرورة الأحزاب.

الآن أنا دائماً أدعو لتكوين الأحزاب حتى في مجالسي الخاصة.

البصائر: سماحة الإمام أنتم تعتبرون من أهم الشخصيات المرجعية البارزة التي دعت وتدعو للوحدة الاسلامية, وهذا ما نلاحظه في مجمل خطابكم الموجه للأمة ودعاتها, فهل قمتم سماحة السيد بمد الجسور مع علماء السنة لتقوية هذا الاتجاه خصوصاً في العراق والكويت؟

سماحة الإمام: نعم قمنا بمادرات في العراق, ذهبنا للسنة, وعلماء السنة أتوا إلينا.

كما أذكر كان هناك احتفال كبير في مدرسة أبي حنيفة, ذهبنا لهذا الاحتفال وأنا شخصياً ذهبت لهذا الاحتفال, ولما كان عندنا احتفال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كربلاء دعونا السنة, فشاركنا علماؤهم.

أفكاري في مسألة الوحدة ليست جديدة, بل هي قبل خمسين سنة, لأنني أطالع كثيراً وأظن حتى الآن أني قرأت في حدود ستة آلاف كتاب من الكتب الاجتماعية والسياسية, والاقتصادية والثورية والفقهية, وغيرها, و كل كتاب أراه أقرأه سواء كان حوزياً أم لا وإلى الآن انا أطالع.

وفي الكويت نفس الشيء, السنة أصدقائي نذهب إليهم ويأتون إلينا.

---

[1] كانت الكنيسة في الغرب تمارس ضغوطاً شديدة على المجتمع وتعاقب كل من يفكر أو يكتب خلاف الآراء والمعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة ورجالاتها, وقد أنشأت في القرون الوسطى محاكم عرفت فيما بعد بـ " محاكم التفتيش " وظيفتها البحث عن أصحاب الآراء والمعتقدات التي تخالف رأي الكنيسة لإنزال أشد وأقسى أنواع العذاب بهم.

والأخ السيد حسن ذهب إلى السنة, وذهب إلى شيخ الأزهر, وذهب إلى لبنان, وذهب إلى كل مكان, أما في إيران فظروفي لا تسمح... لكن هذه الأشياء لا تحدث بسرعة بل تطول, وتحتاج إلى زمن طويل.

البصائر: سماحة الإمام كان هذا داخل الإطار الاسلامي العام, أما إذا تحدثنا عن الوحدة داخل الإطار الاسلامي الخاص (الشيعي) فأنتم تدعون لشورى المرجعية وشورى الفقهاء, في هذا الاتجاه سماحة السيد هل تحدثتم مع المرجعيات الشيعية لتطبيق هذه النظرية على الواقع الشيعي؟.

سماحة الإمام: أنا دائماً أتحدث عن هذه القضية, وقد تحدثت مع الشيخ المنتظري عندما جاء لزيارتي هنا في هذه الغرفة, وتحدثت مع السيد صادق الروحاني, والسيد المرعشي, والسيد الكلبيكاني, عندما جاء كلٌّ منهم لزيارتي, وكذلك عندما كنت أذهب إليهم, لكني اقول: إن الواقع يتغير, ولكن ذلك الأمر لا يحدث بشكل سريع, وكان ردهم أن هذا الأمر لا يحدث, بكلّ فكرتك: لأن هذا لا يمكن أن يحدث وهو مستحيل.

فلسطين

البصائر: سماحة السيد ندخل في محور آخر, وهو قضية التعامل مع الدولة الغاصبة أو ما يسمونها بـ (اسرائيل) فنحن نلحظ تياراً سياسياً واسعاً داخل الأمة وفي الدوائر الغربية يدعو للتطبيع مع (اسرائيل) ما هو رأيكم في مثل هذه الدعوات؟ وكيف تنظرون إليها؟.

سماحة الإمام: في الحقيقة هذه الدعاية كتبت حولها كتاباً (هل يدوم الصلح مع اسرائيل) هل رأيتموه؟.

والآن عندي كتاب جديد اسمه (الأقصى المبارك) يطبع إن شاء الله.

أتصور أن امريكا هي الضاغطة فقط, والله سبحانه وتعالى يقول: ((ضُربت عليهم الذلة أين ما ثُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)) [1].

أما الحبل الذي من الله إذا أصبحوا (خوش أوادم) أي آمنوا بالله واتقوه.

أما الحبل الذي من الناس فهو اليوم أمريكا التي تسندهم, هذا نص القرآن.

في الحقيقة ضغط أمريكا هو المؤثر أما الدول العربية فهم خائفون ومشتتون بتفرقهم وكل ذلك بسبب حكامهم.

والكل ضد التطبيع واقعاً إلا أنهم يخافون من أمريكا, حتى أني سمعت قبل مدة في محطة الجزيرة الفضائية محاضراً اسمه (عبد الله النفيسي) كان عنده لقاء في الجزيرة حول التطبيع, وكانت كلمته جميلة, وقد أرسلت له خبراً أن يطبع هذه الكلمة حتى يراها الناس.

وكتبت في كتبي وهذا تصوري, أن اسرائيل ستزول من هنا, والدليل أن الصليبيين لما جاءوا إلى هنا بعد مائتين سنة أزيلوا, هؤلاء كذلك سيزولون, لكن الآن يحتاج إلى وقت: لأن امريكا معهم, سابقاً بريطانيا كانت مع اليهود والآن أمريكا بقوتها العارمة.

---

[1] سورة آل عمران, الآية 112

البصائر: سماحة السيد نلاحظ أن الذين يسعون للتطبيع يسعون في ذات الوقت لمسخ عقلية الأمة, فهل يمكن لهؤلاء أن يحققوا أهدافهم؟ وهل يمكن للأمة أن تقبل بعملية التطبيع؟

سماحة الإمام: ليس من المعقول حدوث ذلك, وأتصور غير ممكن. لاحظوا الشاة صنع في طهران – وأنا قرأت ذلك – أربعة عشر ألف مخمر في طهران وحدها, أربعة عشر ألف محل لبيع الخمرة الشاه أنشأها.

لكن هل بقيت؟!

كلا... في يوم واحد أزالوها, وأي شيء خلاف الأمة لا يمكن أن يحدث.. هذا غير معقول, فقط امتحان يمتحن الله به الناس هؤلاء وهؤلاء ثم يذهبون.

الشاه صنع في كل مدن إيران ما عدا قم, في كل مدينة مبغى أي (فاحشة خانة) باللسان الفارسي, صنع ذلك في كل مدينة, في شيراز, في رشت, في أصفهان, في طهران, في بروجرد, في يزد, وفي يوم واحد كلها أزيلت: لأنها خلاف إرادة الأمة... هذا واقع.

الاستعمار الفرنسي احتل الجزائر مائة وعشرين سنة وبقي فيها وجلب مليون فرنسي للجزائر, لكنه ذهب لأن الشيء الذي هو خلاف إرادة الأمة لا يبقى لكنه يطول ويقصر. هذا هو الأمر لا أكثر ولا أقل.

البصائر: سماحة السيد الإمام يطرح الإعلام الغربي وكذا الإعلام العربي تبعاً له مسألة تدويل مدينة القدس وتقسيمها باعتبار أن القدس – كما يقولون – لا تخص ديناً بعينه, بل هي لكل الديانات, ما هو رأيكم في هذه القضية؟.

سماحة الإمام: هذا كذب... كذب..., لأن القدس للمسلمين أكثر من ألف سنة فكيف يقسمونها, مثل ذلك مطروح لتقسيم العراق إلى وسط وشمال وجنوب هذا كله كذب, لأن البلاد بلاد اسلامية ونحن عندما كانت القدس بأيدينا هل كنا نمنع اليهود؟

كلاّ.

هل كنا نمنع النصارى؟

كلاّ.

اللاعنف

فالقدس كونها للجميع صحيح لكن عنوان التقسيم غير صحيح, هذا كذب واضح لأنها بلاد اسلامية.

البصائر: في ظل الهجمة الشرسة التي تشنها آلة الحرب والبطش والإرهاب الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني بجميع فئاته, كيف تنظرون لمستقبل الشعب الفلسطينيي المظلوم؟

سماحة الإمام: ياسر عرفات كان يعتمد على السلاح, وفي كل شيء يعتمد على السلاح في خطاباته في كلامه, بندقية... بندقية, أنا أرسلت له خبراً قلت له: هذا غلط, لن تتمكن من فعل ذلك بالسلاح, بعد مدة تنازل

عن البندقية, بعدها اعتمد على الحجارة, كذلك أرسلت لـه خـبراً جديـداً, أي قبل سنة, قلت له: هذا غلط كذلك, لأن السلم هو الذي يقدّم.

شخصـياً رأيـت فـي التلفزيـون, أن الفلسـطينيين يرمـون الإسـرائيليين بالحصاة, ويقيناً أنتم رأيتم ذلك, فيأتون بهـم ويكسـرون أيـديهم ويقطعونهـا بالساطور.. هل هذا صحيح؟.

" اللاّعنف " هو الحل: مظاهرات, وإضرابات, هذا هو الـذي يقـدّم أمّـا الحصـاة غلط.

البصائر: سماحة السيد لكن كيف يمكن مواجهة إسرائيل وهـي تسـتخدم الدبابات والأسلحة الفتّاكة المتطورة, ضد شعب أعزل, كيف يمكن مقاومـة كل ذلك بالمظاهرات والإضرابات فقط؟

سـماحة الإمـام: لا, هـذا أمـر مـؤقت اسـتخدامه, انظـر عنـدنا مثـالان, المهاتما غاندي في مقابل بريطانيا, والثاني مانديلا, وكلاهما في مقابل أعتى قوة.

الواقع أن اللا عنف هو الـذي يتقـدّم, لأن اللا عنـف هـو العقـل, والسـلاح منطلقه البدن, والعقل مقدّم على البدن, وقد ذكرت هذا الأمر في واحد من كتبي[1].

الإعلام

البصائر: سماحة السيد كيف يمكن لنا كشعوب ونخب وحركات إسـلامية مواجهة عملية التطبيع؟

سماحة الإمام: اطبع مليـون كتابـاً وأنشـرها, بيّـن مفاسـد التطـبيع وأنـه خطر جداً.

أنا شخصياً رأيت اليهود في العراق, لأنهم كانوا في العراق قبل خمسـين سنة, في النجف كانوا, في كربلاء كانوا, في بغداد بكثرة كانوا, في العمـارة بكثرة هائلة كانوا, أنا رأيتهـم وعرفـت أسـاليبهم ونفسـياتهم, اليهـودي يـبيع زوجته وأولاده في سبيل المال.

وعدم التطبيع يحتاج إلى إعلام, هل عندك شبكة إنترنت بخمسين أو مائة لغة؟ لا.

عندك محطة فضائية؟ كلاّ.

أما هم فكل شي عندهم.

عندك مجلة أو جريدة؟

وحتى هذه (البصائر) كل ثلاثة أشهر تصدر, كم شخصاً يقرأها؟!

هناك امرأة في الغرب اسمها أجاثـا كريسـتي, هـذه المـرأة طبعـت مـن كتبها مليارين, اطبع أنت ملياري كتـاب ووزعهـا, مليـاران...! وأنـا اشـتريت كتبها حتى أنظر ماذا كتبت فيها...

---

[1] راجع كتاب: ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين, وكتاب: الصـياغة الجديـدة: تـأليف الإمام الشيرازي.

البصائر: سماحة السيد على الساحة العربية نلحظ تغيراً طفيفاً نحو إصلاحات ديمقراطية ومجيء قيادات شابة لسدة الحكم والسلطة وقد قامت ببعض الإصلاحات, فما هو رأيكم في ذلك, وهل يمكن لهذه الإصلاحات أن تبقى؟.

سماحة الإمام: هذا كله كذب, وهذه الاصلاحات تبقى فترة وتزول, في نظري أنها فترة وتزول, وبالفارسي يقولون: " استخون بندي " يعني أن الانسان عنده شكل خاص من العظام, وتنظيم العظام للبلاد الاسلامية كله كذب, حتى يأتي غاندي ويخلصها أو فكر غاندي هذا هو الواقع.

الموقف الإيراني من الحرب الأمريكية على العراق

أحمد منيسي

مر الموقف الإيراني من الأزمة العراقية بتطورات متعددة ومتناقضة منذ دخلت هذه الأزمة مرحلتها الدقيقة بعد تصاعد التهديد الأمريكي بغزو العراق, إلى أن وقعت الحرب الأمريكية بالفعل على العراق في العشرين من مارس الماضي.

فبعد أن كانت إيران قد أعلنت أكثر من مرة أنها ترفض الغزو الأمريكي للعراق, وكان هناك نهج متشدد شديد الوضوح ضد هذا الغزو في السياسة الخارجية الإيرانية, عادت إيران لتلتزم الصمت حيال التطورات الأخيرة في تلك الأزمة, وقبل أن تقع الحرب, الأمر الذي تم تفسيره على أنه تراجع في هذا النهج, على خلفية توافق ربما يكون قد حدث بينها وبين الولايات المتحدة استناداً إلى توافقها السابق في الحرب الأمريكية ضد أفغانستان. ثم جاءت المبادرة الأخيرة التي أعلنتها طهران في أوائل الشهر الماضي لتعود بالموقف الإيراني مرة أخرى إلى قلب الأحداث.

هذا الغموض والتناقض في الموقف الإيراني يجد تفسيره في طبيعة الإشكاليات القائمة في العلاقات الإيرانية العراقية من جهة, وإشكاليات العلاقات الإيرانية الأمريكية من جهة أخرى.

إشكاليات العلاقات العراقية الإيرانية:

مثلت إيران والعراق إضافة إلى السعودية ثلاثة محاور متنافسة على زعامة النظام الإقليمي الخليجي, وقد حاول العراق أكثر من مرة خلال النصف الثاني من القرن الفائت تكريس وضعه كقائد لهذا النظام على حساب القوتين الأخريين, وظل هذا الهدف أحد أهم أولويات السياسة الخارجية العراقية برغم تغير شخوص من يحتلون قمة النظام السياسي في بغداد, وقد انبثق هذا المسعى العراقي عن شعور عميق لدى الدولة العراقية بأحقيتها وجدارتها في تبوء هذه المكانة استناداً إلى جملة

*مختارات إيرانية: العدد 33 ابريل 2003.

من الحقائق الموضوعية على الأرض ترجح كفة العراق بالمقارنة مع دول الخليج الأخرى, وهو الشعور الذي تصاعد بعد أن انتقل العراق من نظام ملكي محافظ إلى آخر ثورى في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي.

فبعد تأسيس النظام الثورى في العراق عام 1958 على خلفية الثورة التي أطاحت في ذلك العام بالنظام الملكي – الذي كان قد طالب في أواخر عقد الثلاثينات هو الآخر بضم الكويت – عمل العراق على توسيع نفوذه الإقليمي في منطقة الخليج التي كانت دولها ما زالت ترزح تحت الاستعمار البريطاني, وقد جاءت محاولة العراق لضم الكويت في العام 1961 ضمن هذا المسعى العراقي.

انقلاب حزب البعث

وفي العام 1968, وعندما شهد العراق الانقلاب الـذي قـام أحمـد حسـن البكر ضد حكـم الرئيـس عبـد الرحمـن عـارف, جـاء فـي البيـان الأول لقـادة الانقلاب فـي صـدد تحديـد سياسـاتهم الخارجيـة: " إن حـزب البعـث لـديه مسئولية تاريخية في الانطلاق بالوحدة العربية الشاملة مـن منطقـة الخليـج, والانقضاض على رموز التبعية والعمالة وكل من تسول له نفسه الوقوف فـي وجه المشروع النهضوى البعثي, وأن على أنظمة الخليج أن تتهيأ للتعامـل مـع عراق آخر غير الذي درجـت عليـه ". وكـان هـذا النهـج الجديـد فـي السياسـة الخارجية العراقية يحمل في الوقت نفسه تهديداً للدولة الإيرانية التي كانت في ذلك الوقت تمثل مرتكزاً قوياً للنفوذ الأمريكي في المنطقة.

ومن هنا, فقـد دخـل العـراق الثـورى فـي مصـادمات قويـة مـع كـل مـن السعودية وإيران, الأمر الذي جعله في مواجهـة مـع الولايـات المتحـدة الـتي طرحت نفسها كوريث شرعي للنفوذ البريطاني في المنطقـة بعـد اضـمحلال هذا الأخير منذ نهاية الستينات, واختفائه تماماً مع مطلع السبعينيات تاركاً المجال للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد حاول العراق في مطلع السبعينيات استغلال حالة الفراغ الأمني التي نجمت عن الانسـحاب البريطـاني مـن الخليـج, لتمديـد نفـوذه خـارج حـدوده الإقليمية, الأمر الذي أدخله طيلة عقد السبعينيات فـي صـراع مـع السـعودية وإيران, وحاول كل طرف من هذه الأطراف الثلاثة توسيع رقعـة نفـوذه الإقليمـي, على حساب الطرف الآخر.

التمدد الإيراني

وانتهى هذا العقد بتفوق كفة الجـانب الإيرانـي, الـذي اسـتطاع – بعـد أن فشلت مطالباته بضم البحرين – أن يمـدد نفـوذه فـي منـاطقه الحدوديـة مـع العراق بموجب اتفاقية الجزائر الموقعـة بيـن الطرفيـن عـام 1975, بعـد أن كانت إيران قد احتلت الجزر الإمارتية الثلاثة: طنب الكـبرى وطنـب الصـغرى وأبوموسي, وعمقت نفوذها في منطقة المدخل الجنوبي للخليج بعد أن كانت قد ساعدت سلطنة عمان في القضاء على ثوار ظفار.

وقد كان هذا التفوق الإيراني يصب في صالح تـدعيم النفـوذ الغربـي فـي المنطقة, باعتبار أن إيران كانت في هذا الوقت حليفاً للغرب, ومن ثـم, فـإن هذا التفوق الإيراني لم يسبب إزعاجاً لهذا النفوذ, بيـد أنـه ومـع قيـام الثـورة الإسلامية في إيـران عـام 1979, والـتي كـانت بمثابـة الزلـزال فـي منطقـة الخليج, خرجت إيران من تحالفها مع الغـرب, وقـد ظلـت فـي نفـس الـوقت بعيدة عن أي ارتباط بالسوفييت, حيـث رفعـت الثـورة شـعار " لا شـرقية ولا غربيـة " وقـد اعتـبرت الولايـات المتحـدة أن إيـران, حليفتهـا السـابقة، قـد أصبحت مصدر خطر كـبيراً علـى مصـالحها فـي الخليـج, خاصـة بعـد أن رفـع الإمام الخميني شعار تصدير الثورة إلى الخارج.

وهنا, وجد العراق الفرصة سانحة للانقضاض علـى الجمهوريـة الإسـلامية الطامحة، بدعم من الولايات المتحدة وبتأييـد مـن دول الخليـج الـتي خشـيت تمدد النفوذ الإيراني إليها, ولكنه خرج من حرب الثمـاني سـنوات ضـد إيـران منهك القوة بعد أن كان قد أنهك أيضاً القوة الإيرانية, ولكن توازن القوة بيــن الطرفين ظل قائماً وظل العراق طامحاً لتوسيع نفوذه الإقليمي.

مجلس التعاون

وقد خرج العراق من حربه مع إيران ليجد دول الخليج الست قد أسست فيما بينها ومنذ العام 1981 مجلس التعاون الخليجي, وقد تجاهل العراق أو لم يدرك حقيقة كون مجلس التعاون يقف ضد طموحاته الإقليمية وحصره داخل حدوده إبان تفرغه للحرب مع إيران والدعم الكامل الذي لاقاه من دول الخليج لصد المد الثورى الإيراني.

غزو الكويت

وعاد العراق مع مطلع التسعينيات, ليمارس مغامرة أخرى بغزوه للكويت من أجل تزعم النظام الإقليمي الخليجي. وهنا وجدت إيران نفسها مرة أخرى أمام تحدي توسع النفوذ الإقليمي للعراق. ولكن لأن المتضرر الأكبر من هذا التوسع كانت الولايات المتحدة فإن إيران لم تجد نفسها في حاجة حتى للمشاركة في التحالف الدولي لتحرير الكويت, فاكتفت بجانب الحياد, وتكفل هذا التحالف برد النفوذ العراقي وحصره داخل حدوده.

وعلى الرغم من أن العراق وفي غمار الحصار الذي فرض عليه عقب حرب الخليج الثانية قد حاول تطبيع علاقاته مع إيران, وخطى البلدان خطوات ملموسة في هذا الاتجاه، فإن الملفات الموروثة عن الحرب بينهما, قد حالت دون المضي بعيداً في هذا الاتجاه.

ملفات عالقة

ويأتي في مقدمة هذه الملفات الرؤية الإيرانية لتطبيع العلاقات استناداً إلى القرار رقم 598 الذي ترى طهران أن العراق لم يطبق إلا أجزاء قليلة منه.. فالقرار ينص على دفع تعويضات تقدرها طهران بـ تريليون دولار, وتقدرها الأمم المتحدة بـ 116 مليار دولار, وفي هذا السياق نجد أن طهران تعتبر الطائرات العراقية التي لجأت إليها خلال حرب تحرير الكويت جزءاً من التعويضات, بينما يطالب العراق بعودتها إليه. أما الملف الثاني فهو ملف الحدود المشتركة بين البلدين, حيث تريد إيران العودة إلى اتفاق الجزائر عام 1975 وترسيم الحدود لتشمل مناطق كثيرة تعتبر أنها ضمن حدودها مثل سيف سعد أو تلك المناطق الغنية بالنفط وجزء منها في جزر مجنون. والملف الثالث هو ملف الأسرى لدى العراق حيث تقدر طهران عدد الأسرى الموجودين حالياً في العراق بخمسة آلاف أسير. ومن جانبه يقدر العراق عدد أسراه في إيران بـ 29 ألفاً منهم غير مسجلين " فيما يقدر عدد المفقودين بستين ألفاً تقريباً ". ويؤكد في المقابل أن عدد المفقودين الإيرانيين في سجونه لا يتجاوز الـ 400 أبلغوا اللجنة الدولية للصليب الأحمر برفضهم العودة إلى إيران.

وبالإضافة إلى هذه الملفات هناك ملف شائك يتمثل في أن كلا من العراق وإيران يؤوى تنظيمات معارضة للنظام في البلد الآخر حيث تؤوى بغداد منذ عام 1986 منظمة مجاهدى خلق التي يصل عدد مقاتليها إلى حوالي 30 ألف عنصر تدعمهم دبابات وطائرات هليوكوبتر, بينما يوجد في إيران أهم حركات المعارضة الشيعية العراقية ممثلاً في المجلس الأعلى لثورة الشيعة في العراق.

إيران الخاسر الأكبر:

هـذه الإشـكاليات الـتي تغلـف العلاقـات العراقيـة الإيرانيـة كـانت تـدفع بالضرورة في سبيل تبنى موقف داعم للإطاحة بنظام صدام حسين, أي تأييد الحرب الأمريكية على العراق للتخلص من هذا العدو اللدود ولكن ومن ناحيـة أخرى, فإن إيران تدرك أنها من أكبر الخاسـرين مـن هـذه الحـرب, حيـث أن ضرب العراق وإن كان هدفاً بذاته للولايات المتحدة إلا أنه سـوف يـؤدي إلـى استكمال عملية حصار إيران غرباً على النحو الذي تسعى إليه واشـنطن بعـد أن أحكمت الولايـات المتحـدة حصـارها لإيـران مـن الجهـات الثلاث الأخـرى, ففـي الغـرب والجنـوب ترسـو حـاملات الطـائرات الأمريكيـة فـي مواجهـة السواحل الإيرانية, وفي الشرق اسـتطاعت الولايـات المتحـدة بعـد الإطاحـة بحركة طالبان تكريس نفوذها فـي الأراضـي الأفغانيـة وبـالقرب مـن الحـدود الأفغانيـة الإيرانيـة,ومـن الشـمال ثمـة نفـوذ أمريكـي كـبير م ن خلال تغلغـل الولايات المتحدة في دول آسيا الوسطى.

وفي السياق نفسه, فإن إيران – وعلى الرغم مـن عـدم ارتياحهـا لوجـود صدام حسين عدوها اللدود على رأس السـلطة فـي العـراق – تشـعر بـالقلق الشديد لحدوث أي تغيير في العراق في الوقت الحاضر لأنه حتى في حالة إذا ما أدت الحرب الأمريكية على العراق إلى تفكيكه, فإن ذلك لن يعنـي تحقيـق الحلم الإيراني بدولة شيعية في جنوب العـراق تناصـر نظامهـا, لأن الولايـات المتحدة لن تسمح بتمدد النموذج الإيراني خارج حدوده, ناهيك عن أن العراق يتخذ الموقع الأول في " محور الشر " الذي رتبته الولايات المتحـدة, وإيـران المرتبة الثانية, ما يعني أنها الهدف المقبـل للولايـات المتحـدة, حـال أنجـزت مهمتها في العراق.

وبالإضافة إلى ذلك, فإن الولايات المتحدة وفي سياق رغبتها في التمكين للتفوق الإسرائيلي في المنطقة, وبعد أن تتخلـص مـن القـوة العراقيـة, مـن المتوقع أن ينصب اهتمامها على إيران, لتسييد إسرائيل, بما يمكن من فرض شروطها للتسوية وإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي.

كل هذه العوامل المعقدة دفعت طهران إلـى اتخـاذ موقـف متشـدد فـي بداية الأمر تجاه الحملة الأمريكية ضد العراق, ولكـن هـذا الموقـف المتشـدد التزم الصمت في مرحلة لاحقة كما سبقت الإشارة ما فهـم ضـمناً علـى أنـه تأييد لهذه الحملة جاء على خلفية توافق لابد أن يكون قد حـدث بيـن طهـران وواشنطن.

المبادرة الإيرانية:

وفي الواقع, فإنه كانت هناك عدة مؤشرات تدعم مثل هذا التكهن, حيـث شاركت المعارضة الشيعية التي تحتضنها طهران مع باقي فصـائل المعارضـة العراقية المدعومة من قبل الولايات المتحدة في عدة اجتماعات, بعضها عقد في واشنطن, وربما كانت إيران تسعى إلى أن تتعامل مع الولايـات المتحـدة هذه المرة بالطريقة نفسها التي تعامل بهـا الطرفـان فـي الحـرب الأمريكيـة على أفغانستان, أي أن يتم تنحية الخلافات جانباً لتحقيق هدف الطرفين فـي الإطاحة بنظام صدام حسين دون أن يعني ذلك حصـار إيـران فـي مرحلـة مـا بعد صدام.

ولكن يبدو أن هذه الصيغة لم يكن من الممكن تطبيقها من جديد, فالولايات المتحدة ليست في حاجة إلى الدعم الإيراني بشدة كما كان حالها في الحرب ضد طالبان, حيث كانت تتمتع بنفوذ قوى في أفغانستان غير متوافر لها في العراق, كما أن القوات الأمريكية التي تنوي غزو العراق لديها جبهات أخرى لشن الحرب على العراق أكثر أهمية من الجبهة الإيرانية التي سوف تقدم في نهاية المطاف دعماً لا يقارن بالمميزات الهائلة التي توفرها تلك الجبهات. ومن ناحية أخرى, فإن الولايات المتحدة تخشى بالفعل من أن تنجح إيران في استغلال حالة الفراغ الذي قد ينجم عن الإطاحة بصدام حسين لتدعيم نفوذها في العراق والخليج معتمدة على الطائفة الشيعية, هذا على جانب الرؤية الأمريكية, أما فيما يتعلق بالبعد الخاص بالرؤية الإيرانية نفسها, فإنه وعلى الرغم من غلبة الطابع البراجماتي على السياسة الخارجية الإيرانية, فإن ملف العلاقة مع الولايات المتحدة مازال محل شد وجذب بين الإصلاحيين والمحافظين, وهذا من شأنه أن يعرقل من إمكانات إقدام إيران على فتح حوار مع الولايات المتحدة, أضف إلى هذا أن الولايات المتحدة قد أعلنت بشكل صريح في الأسابيع التي سبقت الغزو أنها تعتزم حكم العراق بعد صدام بشكل عسكري مباشر, ما يعني العدول عن خيار تنصيب المعارضة بالسلطة, وما يعني أيضاً أن المعارضة الموالية لطهران سوف يتم تهميشها.

ومن هنا فقد جاءت المبادرة الإيرانية التي تم طرحها على لسان وزير الخارجية كمال خرازى كمؤشر على تحول لافت في الموقف الإيراني, جاء بالضرورة على خلفية فشل واشنطن وطهران في الاتفاق على صيغة للتعاون الثنائي.

وقد تمحورت هذه المبادرة حول إجراء استفتاء تشرف عليه الأمم المتحدة بشأن انتقال السلطة في العراق في إطار خطة لتجنب شن حرب على بغداد ودعوة المعارضة العراقية للمصالحة مع الرئيس صدام حسين لتجنب إراقه الدماء.

ويمكن القول أنه كانت هناك عدة عوامل قد دفعت طهران إلى إطلاق هذه المبادرة, فضلاً عن فشلها في التوصل إلى صيغة للتعاون بينها وبين واشنطن كما حدث في أفغانستان وتتمثل أهم هذه العوامل فيما يلي:

1-أرادت إيران الخروج من العزلة التي يمكن أن تفرض عليها بسبب تأييدها للحرب أو حتى التزامها الصمت في ضوء وجود توجه عربي وإسلامي ودولي مناهض للحرب.

2-ضغوط الرأي العام الداخلي, فالتوجه العام في إيران كما في غيرها من الدول العربية والإسلامية هو ضد الحرب الأمريكية المحتملة على العراق،وما يذكى هذا التوجه موروث العداء الشديد بين طهران وواشنطن.

3-انحسار الموقف الدولي المؤيد للحرب بعد التعاون الجيد الذي أبداه العراق مع القرار رقم 1441, وهو ما أفرغ الحجج الأمريكية لهذه الحرب من مضمونها, وكشف في الوقت نفسه عن الأجندة الخفية للولايات المتحدة من حربها ضد العراق, ومثل هذا الأمر يعد مقلقاً جداً لإيران.

وقد تلى هذه المبادرة إقدام إيران على مجموعة من الخطوات لها مغزاها الهام, في مقدمتها استضافتها لمؤتمر للقوى الشيعية العراقية المعارضة عقد في 6 مارس الماضي, على الرغم من أن الإعلام الإيراني أكد أن هذا المؤتمر لا يعقد بضوء أخضر من إيران. وتزامن مع هذه الخطوة تحرك قوات لواء بدر إلى شمال العراق, حيث تمركزت في هذه المساحة الواقعة ضمن مناطق شمال العراق الكردية التي تتمتع بالحكم الذاتي, وتتشكل هذه القوات من عناصر من شيعة العراق الذين تدعمهم إيران والتي تعهدت بمقاومة نظام الرئيس صدام حسين, فقد ظل أفراد هذا اللواء ينتظرون منذ عقدين, وعلى وجه الخصوص منذ الانتفاضة التي شهدتها مناطق الشيعة في جنوب العراق ضد صدام حسين عقب حرب عام 1991. تلك الإنتفاضة التي سحقتها قوات بغداد، بينما لم تحرك الولايات المتحدة ساكناً.

وفي سياق هذه المرحلة الجديدة لتقلب الموقف الإيراني, عملت الولايات المتحدة على إرسال مجموعة من الإشارات المتناقضة إلى إيران. ففي الوقت الذي جددت فيه واشنطن اتهاماتها لطهران بامتلاك أسلحة نووية, على لسان وزير الخارجية كولن باول، أعلن في 9 مارس الماضي أن الولايات المتحدة والدول الأخرى اكتشفت فجأة أن إيران متقدمة في برنامجها لتطوير أسلحة نووية أكثر مما كان العالم يعتقد, وكان باول يعلق على مقال نشرته صحيفة تايمز جاء فيه أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية ترى أن إيران استخدمت اكزافلورور اليورانيوم في محركات الطرد لديها لاختبار قدرة هذه المحركات. في هذا الوقت أعلنت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا أن عراق ما بعد صدام حسين لا مكان فيه لمنظمة مجاهدى خلق.

وهذا الموقف الذي يبدو متناقضاً أيضاً من قبل الولايات المتحدة تجاه إيران, هدفه تطمين هذه الأخيرة لكسب جانبها, أو بمعنى أدق تأمين جانبها عن طريق سياسة العصا والجزرة, وهو ما يضع الجانب الإيراني في التحليل الأخير في ورطة حقيقية حيال التطورات الحالية والمستقبلية للأزمة العراقية.

رد الفعل على الحرب:

وفي سياق هذا الموقف الإيراني الرافض للحرب الأمريكية على العراق, جاء الإعلان عن رفضها حينما اندلعت فعلاً في العشرين من مارس الماضي, فعقب بدء هذه الحرب مباشرة أعلن وزير الخارجية كمال خرازى أن هذه الحرب تفتقد إلى أي شرعية دولية ولا يمكن تبريرها بأي حال من الأحوال وأكد أنها يجب أن تتوقف فوراً وقال خرازي أن تلك الحرب سوف تضيع جهود نصف قرن بذلتها كافة شعوب العالم لتعزيز دور الأمم المتحدة، مؤكداً على أن بلاده لن تدعم أياً من الطرفين المتصارعين.

أما المرشد الروحي للثورة الإسلامية السيد علي خامنئى, فقد أكد على أن الهدف من هذه الحرب هو احتلال العراق والسيطرة على المنطقة, والهيمنة على مصادر النفط فيها, والحفاظ على الكيان الصهيوني غير المشروع وشدد على ضرورة الوقف الفوري لهذه الحرب وضرورة يقظة الشعب الإيراني حيال الأساليب التي تعتمدها الولايات المتحدة وبريطانيا.

ومن ناحيته قال الرئيس محمد خاتمي أن الولايـات المتحـدة تجـد نفسـها وحيدة وممارساتها لا تتمتع بـأي شـرعية وهـي المسـئولة عـن تهديـد السـلام الدولي.

مقاربة ثقافية لسياسة إيران الخارجية

رحمان قهرمانبور(باحث في مركز البحث العلمي والدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية)

المؤلف: محمود سريع القلم

اسم الكتاب: السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية الايرانية تجديد نظري ونموذج في الإئتلاف.
الناشر: (طهران, مركز البحوث الاستراتيجي 2000) 172 صفحة.

يعرض رحمان قهرمانبور كتاباً للباحث والكاتب الشيعي محمود سريع القلم - وهو رئيس تحرير مجلة إيران والعرب –, والكتاب حول سياسة إيران الخارجية من منظور إيراني إصلاحي, وذلك لنتعرف على طريقة عملهم وفلسفتهم.....المحرّر.

يقول المؤلف ان هذا الكتاب ليس أكاديمياً فحسب, فهو نتاج حواراته ومناظراته مع أكثر من 85 شخصية من صانعي السياسة المحترفين, وكذلك مشاركته خلال الأعوام الثلاثة المنصرمة في مؤتمرات محلية ودولية مختلفة, وهكذا فإن الكتاب يمثل خطوة أخرى في تجسير البون التاريخي بين النخبتين الفكرية والعلمية في إيران المعاصرة.

يقع الكتاب في ثمانية فصول, الفصل الأول عبارة عن مقدمة يتبعها سرد للنصوص النظرية حول السياسة الخارجية, والإطار النظري للمؤلف, وأربعة فصول عن مشاكل وإمكانات النجاح الكامنة لإئتلاف إيران مع دول في الجنوب, وفي الشمال, ومع الكتلة الاسلامية, وشرق آسيا, وفصل ختامي موجه سياسياً. ويستخدم المؤلف تقديرات إحصائية في بعض الفصول لإثبات ادعاءاته, وقد تكون هناك بعض الصعوبات في فهم الفروقات الدقيقة للمقترحات بالنسبة لمن ليس لديهم إطلاع وافٍ على آراء المؤلف الثابتة, وإلى حد ما يكمن ما يظهر أنه غموض في الإطار النظري في انعدام ذلك الاطلاع الوافي, لهذه المراجعة أربعة أقسام, القسم

* شؤون الأوسط العدد 110 ربيع 2003

الأول مخصص للإطار النظري الذي يسميه المؤلف "عرضية السياسة الخارجية" والقسم الثاني مكرس لمستويات التحليل والميثودولوجيا, أما القسم الثالث فيتألف من الافتراضات والافتراضات المسبقة, والقسم الأخير يتضمن التوصيات المتعلقة بالسياسة, والإشارة إلى أعمال المؤلف الأخرى قد تساعد القارئ على إدراك دقة الكتاب.

تفوق الثقافة السياسية

التفوق الفعلي للثقافة السياسية والجيوبوليتيكا الإيرانيتين هو لب مفهوم الإطار النظري الذي له قاعدتان:

القاعدة الأولى هي المتغيرات الثابتة للسياسة الخارجية والثانية هي طبيعة النظام السياسي ورجال الدولة, والأخيرة تعتمد على نوع الدولة.

فئات القاعدة الأولى هي: تركيبة النظام الدولي: النظام الاقتصادي والمواصفات الجغرافية, الثقافة العامة والسياسة, وتتكون القاعدة الثانية من: تحديد المصالح، نظام المعتقد، صنع القرار ومعالجة المعلومات, ومن وجهة نظر المؤلف فإن المتغيرات الثابتة أكثر أهمية وتأثيراً في السياسة الخارجية من طبيعة النظام السياسي, فلا تستطيع أي حكومة تجاهل هذه المتغيرات, والجمهورية الاسلامية الايرانية ليست استثناءً, على أن عناصر عدة تجعل من إيران بلداً دولياً, موارد إيران للطاقة والجيوبوليتيكا الخاصة بها, والتوجه الغربي الأساسي في بنيتها الاجتماعية والاقتصادية يقود السياسة الخارجية لطهران نحو التعاون مع القوى العظمى.

وبدلاً من افتراض تفاعل بين مجموعتي المتغيرات, يعتقد المؤلف ضمناً بعلاقة أحادية تكون للمتغيرات الراسخة فيها اليد العليا, وينتج عن هذه النظرة الغائية مبالغة حول الثقافة السياسية والجيوبوليتيكا الايرانيتين, وكأحد أبناء الجيل السياسي الإيراني الناشىء, لا زلت أشك بتفوق الثقافة السياسية الإيرانية مقارنة بدول كتركيا أو مصر في منطقة الشرق الأوسط وفيما يرى المؤلف أن الأحداث السياسية الأكثر ضخامة في تاريخ إيران المعاصر, وهي الثورة الدستورية وطموح الشاه محمد رضا في أن يتحول إلى القوة الخامسة في سياسة العالم, والصحوة السياسية الاسلامية, والخصخصة الاقتصادية وتطور المجتمع المدني والسياسي, هي تجليات للمثالية في النظام السياسي الإيراني, إلا أن ثمة شك في وجود مظاهر ثقافة سياسية إيرانية.

في الواقع, من الصعوبة بمكان معرفة الدليل الذي ارتكز عليه في طرحه, وماهية التجليات الحقيقية لذلك التفوق لسوء الحظ, إن الدليل السياسي لا يؤكد هذا التفوق على الإطلاق, وكما يقول المؤلف نفسه في عمل آخر فإن الأسس القبلية لهذه الثقافة السياسية هي المصدر الأساس لفقدان الإجماع بين النخب, وحتى في الأمة وهكذا, فإن تفوق الثقافة السياسية الايرانية في " عرضية السياسة الخارجية" تشبه النموذج الفيبري (Weberian) المثالي.

ورغم أن المبادىء الثابتة يفترض بها أن تكون قوى محركة للسياسة الخارجية الإيرانية, فإن هذا لايكفي لتفسير المبادىء الموجودة في الكتاب, فالمؤلف يحقق في طموحات مختلفة – وحتى متناقضة – للسياسة الخارجية لجمهورية إيران الاسلامية, بيد أنه من المفترض أن تلك الطموحات مقتصرة على النظام السياسي في مرحلة ما بعد الثورة, وليس لها سابقة تاريخية, ويمكن الزعم أن بعض الطموحات هي نتاج الجمهورية الاسلامية, إلا أن بعضها الآخر كالعداء لإسرائيل والتمسك بالإستقلال والحرية, ليس كذلك, ويتوقع القارىء المتخصص أن يقرأ شيئاً حول دور الأمن أو الجماعات الإثنية في السياسة الخارجية, ولكن بسبب التركيز على المتغيرات غير الراسخة, تم تجاهل هذين العاملين التاريخين, أخيرا, فإن الإطار النظري للمؤلف موجّه اقتصاديا بشكل غائي, وهو يلمّح إلى أن النظرة العالمية للغرب على أنه مركز النفوذ في العالم تتشكل بفعل عوامل اقتصادية وليس عوامل ايديولوجية أو أخلاقية, وعلى هذا الأساس على الثقافة ان تعبد الطريق لانبثاق هذا النوع من النظرة العالمية, ففي

المجتمع الدولي, تشكل الثقافة أداة وليس غاية, والهدف الأسمى لمعظم الدول في عالم اليوم هو تحسين نوعية المعيشة, وعليه, فإن السياسة الخارجية ينبغي أن تُرتب للسعي لهذا الهدف, وأعتقد أن هذا لا ينسجم مع مقارنة المؤلف السيكو-ثقافية التي تسلم بهيمنة العوامل الثقافية في المستقبل المنظور, والعلاقة الوثيقة بين النفط والاسلام تعزز هذا الاتجاه.

إذا ما تم اعتماد مقاربة المؤلف الثقافية, فعليه أن يقدر تركيز الرئيس محمد خاتمي على المسائل الثقافية الداخلية, بيد أن سريع القلم يعتقد أنه " في ما يختص بالجوهر فإن السياسة الخارجية الإيرانية لم تتغير كثيراً " منذ انتخابات العام 1997 ".

مستويات التحليل

القسم الثاني من المراجعة يتضمن مستويات التحليل والميثودولوجيا, ومع أن المؤلف لا يذكر مستويات التحليل صراحة, إلا أنه يمكن استنتاج وجود أربعة مستويات تحليل في " عرضية السياسة الخارجية " هذه المستويات هي الدولي والإقليمي والقومي والدون قومي أو الفردي ومقاربته الخاصة تقوده إلى أخذ المستوى القومي في الاعتبار, وهذا يؤثر على كل من طبيعة النظام السياسي الإيراني والآراء الثابتة لصانعي القرار فيه, لأن الثقافة الإيرانية جزء من الثقافة الشرق أوسطية, وربما يمكن القول إن الثقافة الشرق أوسطية القديمة هي البنية الثقافية الأكثر تميزاً في العالم لدى مقارنتها بالنماذج الغربية الأساسية.

في الكتاب رأي لافت, وهو أنه يعتبر الثقافة الشرق أوسطية عاملاً مهماً في التعامل مع السياسة الخارجية الإيرانية, لقد أهمل العديد من العلماء خصوصيات هذه المنطقة إلى حد بعيد, على الرغم من أهمية كونها المصدر الأول للنفط والغاز في العالم.

النقطة الثانية مكرسة للدور الذي يقوم به الفرد في السياسة الخارجية الإيرانية, فرغم أن بعض النقاد يلاحظون أن هذا الجانب متأثر بنموذج روزينو (Rosenau) يبدو للمراجعة أنها نتاج للحوارات المذكورة آنفاً والتي أجراها المؤلف, وليس نتاج المنظور النظري, وعلى هذا النحو, القادة -وخصوصاً الكاريزميون منهم –مهمون للغاية في الشرق الأوسط وعلى الرغم من هذا, ليس واضحاً كثيراً أي موقع يشغل الأفراد في " السياسة الخارجية العرضية " هل هم صانعو نظام المعتقد أو الثقافة السياسية".

إيران والغرب

لدى الإجابة على هذا السؤال: لماذا على إيران ضبط مشاكلها مع الغرب, يذكر المؤلف علاقة النفوذ – الهوية في النظام الدولي, والذي يعني ضمناً هيمنة الهوية الغربية, وبحسب المؤلف, ثمة ميل طبيعي للغرب لدى الإيرانيين, هم من يمكن أن يقبل ويُعجب بالغرب العلمي الصناعي, بيد أن هناك ميلاً قوياً لمقاومة اختراق الثقافة الغربية, وبالتالي اخلاقياتها وقيمها, هذا الميل المتناقض متجذر في الثقافة السياسية والهوية القومية الإيرانيتين, وهنا يمزج المؤلف المستويين الإقليمي والقومي.

إن مقاومة الثقافة الغربية هي – إلى حد ما – مجازفة سياسية شرق أوسطية وهي أقوى في أوساط العرب مما هي لدى الإيرانيين والأتراك, برأيي الغرب كل واحد وفصل جوانبه المختلفة بهدف ضبط المشاكل ممكن نظرياً فحسب, فالسوق الحرة والديموقراطية وحقوق الإنسان متلازمة بشكل متزايد, وكل هذه مظاهر مختلفة للهوية والتنوير –في الواقع- الغربيين, واليوم علينا أن نؤكد بقوة أكبر تخطي الحدود القومية – وحتى عولمة – هذه الهوية وأثرها في الهوية القومية لدول الشرق الأوسط (قد يجادل البعض أنه في السرد المستقبلي للهويات القومية سواء كان ذلك من قبل الدولة النخب في هذه المنطقة كدور تقسيم العمل والثقافة القوية الغربية – وخصوصاً الأمريكية).

وظيفة الثقافة كمصدر للمصالحة والتضامن ستتغير في الأعوام القادمة, وهذا قد يكون مؤشراً على ثقافة سياسية متحولة قد تؤدي دور مبدأ راسخ, إني أوافق المؤلف رأيه بأن العلاقة الوثيقة بين النفط والاسلام هي السبب الرئيسي لعزل الشرق الأوسط بالمقارنة مع المناطق الأخرى,بيد أني أجد أنه من الصعب اعتبار القوى الأجنبية, وخصوصاً الوجود الأمريكي في المنطقة, بداية واعدة تبعها فشل, هذا يعني أن النفوذ المتعاظم للغرب في القرن الحادي والعشرين سيؤثر على المستوى الإقليمي بطريقة مختلفة.

صحيح أن سياسة الشرق الأوسط, وبالتالي ثقافته السياسية ستتغير, إلا أن هذا لا يعني أن المقاربة المتكاملة والمثيرة التي قدمها المؤلف لا علاقة بها بالحاضر. عوضاً عن دمج المقاربة الثقافية –التاريخية البريطانية بتلك الأمريكية العلمية, انتجت هذه إطاراً شاملاً يقول العلماء البريطانيون إن السلوك المتعلق بالسياسة الخارجية يتشكل ثقافياً, أن على المرء أن يكون عالماً بتاريخ وتقاليد ثقافة معينة كي يتمكن من فهم سلوكها في السياسة الخارجية. مقاربة السياسة الخارجية المقارنة في الولايات المتحدة تسعى لتوليد نظرية حول صنع السياسة الخارجية يمكن أن تستخدم عندئذ لفهم – وحتى توقع- السلوك المتعلق بالسياسة الخارجية لدول مختلفة.

ومع أن العديد من الافتراضات والافتراضات المسبقة للمؤلف مثيرة للجدل ومفتوحة أمام التحدي إلا أنه من الصعب للغاية رفضها كلياً والعلماء الذين ينتقدون آراء المؤلف المتشائمة حول السياسة الخارجية بعد الانتخابات الرئاسية عام 1997 يقبلون أن فقدان الإجماع في أوساط النخب, ودور الأفراد وتفوق الأيديولوجية والمثالية, ولا فاعلية الآلة الديبلوماسية, وإهمال العوامل الإقتصادية والاتكال الاستثنائي على الثقافة وخصوصاً الثقافة الشيعية, لم تتم إزالتها, وهي قد ضعفت, ويبدو أن علينا ان نعترف أن العديد من الافتراضات المسبقة للمؤلف ليست نظرية فحسب, بل تجريبية وإلى حد ما يمكن ملاحظتها. وعلى الرغم من أنه كي يتم تأكيد هذه الافتراضات بشكل كامل من الضروري أن نتكهن, ولكن إذا ما أخذنا في الحسبان تطورات العقد الماضي من السياسة الخارجية, فقد نؤكد انتصار الماهيويين (أنصار الماهية) الذين يعتقدون أن التغيير الراديكالي في السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية أمر مستحيل قد يكون الافتراض الأكثر أهمية هو التمييز بين الداخلي (السياسي) والخارجي (الدولي) وقد يجادل البعض بأن العولمة قد جعلت الحدود بينهما مبهمة,

ويجادل البعض أيضاً بأن هذه هي نتيجة التحول في نموذج الدولة –الأمة الوستفالية. وإذا لم نقبل بهذا الافتراض, بمقدورنا أن نشك في دور القوى العظمى في السيطرة على المخيلة في الشرق الأوسط, وأيضاً في انعزال هذه المنطقة, ويبدو للمراجع أنه من الأفضل استخدام مفهوم المقاومة, وخصوصاً المقاومة الثقافية, التي ليست بالضرورة ضد عولمة اقتصاد السوق الحرة النيوليبرالي. هذه المقاومة متعمدة إلى حد معين, فيما قد يكون الانعزال غير مقصود. من الصعب أن نتجاهل تدخلية القوى الكبرى في المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية وخصوصاً بعد الغزو العراقي للكويت, فكيف يمكن أن نقلل من شأن البعد الثقافي لهذه القطبية الأحادية بعد الحرب الباردة.

التوصيات

أخيراً, تبدو توصيات المؤلف حول السياسة طموحة, مع الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العامة للنظام السياسي الإيراني الحالي. التوصيات الرئيسة للكتاب هي: التعامل مع الاتجاهات المتضاربة في دستور الجمهورية الاسلامية, إيجاد تسوية حول الهوية القومية الإيرانية, ضبط المشاكل ازاء الغرب, وخصوصاً الولايات المتحدة وإسرائيل, جعل النظرة العالمية الدينية معتدلة, وإدراك دور الاقتصاد في المجتمع الدولي الحالي من قبل نخب الدولة, ومن الصعب إثبات امكانية, بل وحتى إحتمالية, هذه التوصيات في الأعوام القادمة, كما أن غموض جعل المسائل نظامية واضح إلى حد ما, ما هي خاصيته الرئيسة؟من هم داعموه؟ أي من جوانبه فاعلة؟ والأهم: هل يمكن لدولة قوتها وسطى كإيران ضبط مشاكلها مع مصدر القوة المتعاظمة في النظام الدولي الفوضوي, برأيي, ما هو موجود في لب هذا الكتاب هو دعوة لإعادة التركيز على السياسة الخارجية كميدان متخصص.

السياسات الخارجية في دول العالم الثالث وإيران غير حصينة, والسبب في ذلك يعود إلى حد ما لإهمال هذه النقطة المنهجية, معظم صانعي السياسة الخارجية ليس لديهم إطلاع كاف على تعقيد هذا الميدان, وهذا قد يكون ناجماً عن إضعاف الطبقة الوسطى في إيران ما بعد الثورة, وبسبب الصلة الوثيقة بين السياستين الخارجية والداخلية في إيران, يتسم هذا الأمر بأهمية بالغة وينبغي أن ينظر إليه كأحد أصول الديبلوماسية سريعة الاستجابة في الأعوام الأخيرة, وليس من المبالغة الزعم أن هذا الكتاب هو أول عمل أكاديمي وموجّه تطبيقياً حول السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية باللغة الفارسية وبقلم باحث معروف.

أهل السنة في إيران
تحديات الواقع وآفاق المستقبل

عصام عبد الشافي

باحث في شؤون الأقليات الإسلامية

بالرغم من أن أهل السنة في إيران عانوا ويعانون الظلم والاضطهاد والتهميش على يد الحاكمين الشيعة, إلا أننا قلّما نجد من ينبري لبيان هذه القضية, ويسلط عليها الأضواء بالرغم من استفحالها.

الباحث المصري عصام عبد الشافي يوضح لنا هذه المعاناة التي يتعرض لها المسلمون السنة في إيران, والوعود التي يمنحها لهم الحكام, ولا تترجم إلى واقع..... المحرّر.

تحتل إيران موقعاً مهما في الخريطة السياسية والاستراتيجية إقليمياً وعالمياً فهذا البلد المتسع المترامي الأطراف والغني بموارده كان مركزاً لحضارة وامبراطورية عظيمة, ولم تتوقف دورة الحضارة في ايران عبر عصور التاريخ المختلفة, وإنما ظلت إيران مركز تأثير في العالم والأقاليم المحيطة بها مثل شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى والخليج العربي والوطن العربي وتركيا, وقد كان لموقعها الجغرافي دور محوري في بقاء إيران على صلة بالأحداث والتفاعلات في العالم.

فإيران تقع في قلب القارة الآسيوية, يحدها من الشمال دول الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ومن الشرق أفغانستان وباكستان ومن الغرب العراق وتركيا ومن الجنوب خليج عُمان والخليج العربي, وتبلغ مساحتها 1.648 مليون كم مربع منها 1.636 مليون كم مربع يابسة و 12000 كم مربع مياه, ويبلغ طول حدودها البرية

* من مجلة مختارات ايرانية التى تصدر عن مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية. العدد 31 فبراير (شباط) - 2003

5440 كم, كما يبلغ طول شريطها الساحلي 2440كم على طول الخليج العربي وخليج عُمان وقرابة 740 كم على بحر الخزر(قزوين).

وقلب إيران الجغرافي هو الهضبة الإيرانية التي ترتفع عن سطح البحر ارتفاعات تتراوح ما بين 1000 و 1500 متر يحيط بها مجموعة جبال شاهقة أهمها مجموعة زاجروس التي تتمدد مكونة مجموعة من الوديان والسهول, وداخل هذه الهضبة وجد العنصر الفارسي الذي ظل طوال التاريخ يمثل المجموع الأساسي من سكان فارس ومنه عرف الاسم القديم لإيران وذلك على الرغم من وجود جماعات سكانية متميزة عبر التاريخ في الهضبة كالأذربيجانيين والأتراك والأكراد والعرب وأقلية صغيرة من الهنود.

وقد بلغ عدد سكان إيران 70.3 مليون نسمة في يونيو 2000, ويتوزع السكان بين عدة جماعات عرقية وأهمها (وفقاً لبيان رسمي صادر عن وكالة الأنباء الإيرانية): الفارسي 51% والأذري 24% والجيلاكي والمازاندراعي 8% والعربي 3% والكردي 7% واللور 2%, والبلوش 2%,

والترك 2%, وعناصر أخرى 1%, كما تتنوع الأديان والمذاهب وتتوزع بين: الشيعة 80% والسنة 10% والطوائف اليهودية والنصرانية والبهائية والزرادشتية 10%.

والمسلمون السنة في إيران حسب الإحصاءات شبه الرسمية تتراوح أعدادهم بين 10 و 15 مليون مسلم يشكلون نسبة تتراوح بين 15 و 20 % من الشعب الإيراني, وهم مقسّمون إلى 3 عرقيات رئيسية هي الأكراد والبلوش والتركمان, ويسكنون بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية مثل باكستان وأفغانستان, والعراق وتركمانستان, أما المسلمون السنة من العرق الفارسي فوجودهم نادر.

إيران السّنّيّة

لقد كانت إيران دولة سنية حتى القرن العاشر الهجري, وفي الفترة التي كانت فيها على عقيدة أهل السنة والجماعة قدّمت إيران, بسبب ظروفها الإجتماعية والتاريخية والثقافية وقربها لمهبط الوحي, المئات من الفقهاء والمحدّثين والمؤرخين والمفسّرين والعلماء في كل فن وعلم, ويكفي تدليلاً على ذلك أن أصحاب الكتب الستة كلهم إيرانيون إلى أن تشيّعت فأصبحت بؤرة اصطدام ومركزاً للصراع ضد أهل السنة, لأن الدولة الشيعية الصفوية, كانت تتعاون مع قوى الاستعمار لوقف المد السني الاسلامي, كما بُنيت تلك الدولة على آلاف الضحايا من العلماء السنة وفقهائهم وقضاتهم في إيران, وكان ذلك سبباً في إخلاء المدن الكبرى التي كانت مراكز للعلم والفقه والسنة في العالم, كتبريز وأصفهان والريّ وطوس (التي بنيت بقربها مدينة مشهد) وغيرها الكثير, وكان ذلك سبباً لإخلائها من أهل السنة الذين إما قتلوا أو استشهدوا أو تشيّعوا جبراً أو انسحبوا إلى المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها, فأصبحوا يقطنون المناطق الحدودية الجبلية كبلوشستان وكردستان والمناطق الحدودية الأخرى (فيسكن الأكراد في غرب إيران على الحدود العراقية والتركية, ويسكن التركمان في شمالي إيران على الحدود التركمانية, كما أن العرب يسكنون في حاشية الخليج العربي, أما عرب خوزستان وهم معظم العرب الإيرانيين فهم من الشيعة بسبب مجاورتهم لعرب جنوب العراق الذين هم من الشيعة, ويسكن البلوش في الجنوب الشرقي لإيران على الحدود الباكستانية والأفغانية), ليصبحوا بعد ذلك على هامش الحياة السياسية الإيرانية بسبب استمرار العداء الطائفي والقومي لهم.

ونظراً لأن أهل السنة في إيران من شعوب غير فارسية فقد عاشوا في ظل النظام الملكي السابق أوضاعاً سيئة, فكانوا مواطنين من الدرجة الثانية, أولاً بسبب بعدهم عن المدن الكبرى والعاصمة, ثم بسبب اعتقادهم المخالف للفرس الشيعة, لأن الشاه كان يرفع لواء المجوس والقومية الفارسية, وبما أن الأكراد والبلوش والعرب وغيرهم من السنة لم يكن لهم إسهام في القومية الفارسية الوثنية, فلم يكونوا ينالون حظهم من القسط الاجتماعي والإداري والوظيفي والمساواة مع الفرس.

ولمواجهة الأوضاع قام الشيخ أحمد مفتي زاده (الزعيم الروحي لأهل السنة في إيران), هو ومولاي عبد العزيز البلوشي بتأسيس مجلس لشورى أهل السنة سمّي اختصاراً بالشمس تخفيفاً " لمجلس الشوري المركزي للسنة ", وكانت الدولة ضعيفة آنذاك وكانت مشغولة بحربها مع أعدائها الألدّاء من المنشقين والمعارضين واجتمع أول مجلس سنوي لشورى السنة في طهران, وعقد الثاني في بلوشستان.

والأقلية السنية في إيران اليوم, ليست أقلية دينية تعيش في مجتمع مغاير لها في عقيدتها, ولكنها أقلية مذهبية تعتنق مذهباً إسلامياً مخالفاً للمذهب الفقهي الذي تتبناه الدولة, وبالرغم من كونهم يمثلون أكبر أقلية مذهبية في البلاد, إلا أن مستوى تمثيلهم في البرلمان والتشكيل الوزاري لا يتناسب مع نسبتهم العددية.

أسباب الأزمة:

المشاكل والقيود التي يتعرض لها أهل السنة في إيران شديدة التداخل, ومرجعها ليس المذهبية وحدها وإن كانت أكبر العوامل, فجزء منها يعود لأسباب عرقية في دولة متعددة العرقيات مثل إيران, فجميع المسلمين السنة في إيران ليسوا من أصول فارسية فهم إما أكراد أو بلوش أو ترك, أو لأسباب جغرافية فمعظم أهل السنة يقيمون على أطراف الدول التي تصل بينها وبين دول سنية هي على خلاف مع إيران مثل العراق أو أفغانستان أو باكستان, وزاد من مشكلتهم البعد السياسي الذي تمثل في عدم انخراطهم في الثورة الإيرانية منذ بدايتها, واكتفائهم بدور المراقب في الوقت الذي شاركت فيه كل فئات الشعب في الثورة.

وكانت هذه الأسباب وغيرها مبرراً لإثارة الشك تجاههم فهم في نظر النظام الإيراني ليسوا مجرد فصيل يختلف مذهبياً معه, ولكنهم عرق مشكوك في انتمائه إلى جسد الدولة الإيرانية, وكثيراً ما يتهمون بالقيام بعمليات التهريب أو الاتصال بالجهات المعادية, وهي مبررات كافية للنظام الإيراني للتنكيل بهم, وإن كان النظام أنكر مراراً أنه يقوم باضطهادهم أو تعذيبهم إلا أنه اضطر أخيراً وتحت ضغط الصحافة إلى الاعتراف بأن عدداً من رجال النظام قاموا بأعمال عنف ضد المسلمين السنة وغيرهم من المعارضين, ولكن السلطات قالت أن ذلك لم يصدر بأوامر من القيادة أو من الولي الفقيه.

أهل السنة – تحديات الواقع:

وأمام هذا الاعتراف, تكشفت العديد من الحقائق, وتعددت التقارير حول العديد من مظاهر التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيران, ومن بين هذه المظاهر:

1-تقييد حرية بناء المساجد الخاصة بهم: حيث لا يوجد مسجد سني في المدن الكبرى التي يمثل الشيعة فيها الأغلبية, مثل أصفهان وشيراز ويزد, وكذلك في العاصمة طهران التي يوجد فيها نصف مليون سني, حيث

تصطدم الأقلية السنية برد الحكومة بأن المساجد الشيعية مفتوحة أمامهم ويمكنهم الصلاة فيها, ولا داع لبناء مساجد خاصة بهم [1].

وكان الإمام الخميني قد وعد وهو في باريس بتساوي حقوق السنة مع الشيعة الذين كانوا بحاجة ماسة إلى تأييد أهل السنة ضد الأحزاب اليسارية وأنصار الشاه فاضطروا إلى ممالأة السنة, وحاول بعض علماء السنة من جميع المناطق السنية الوقوف مع النظام الجديد ضد الشيوعيين والحصول على حقوقهم السياسية قدر المستطاع عبر القنوات الحكومية التي كانت تعدهم بكل شيء, ولكن ما لبثت الأوضاع أن اضطربت في كردستان وتركمان, -قيل أنها- بمؤامرة من النظام نفسه حيث أخرج اليساريون من المدن المركزية إلى هذه المدن الحدودية.

وكان الشيخ عبد العزيز البلوشي النائب المنتخب في مجلس الخبراء الذي عهد إليه صياغة الدستور الإيراني بعد الثورة, والشيخ مفتي زاده قد طلبا من الخميني أرضاً لمسجد أهل السنة في طهران فوافق تحت الضغط الداخلي والخارجي (قامت به رابطة العالم الاسلامي) وعرضت الحكومة عدة أراض مما كانت قد استولت عليها من أنصار الشاه وصادروها, فرفضها أهل السنة فتم تخصيص عشرة آلاف متر مربع من الأراضي الحكومية بجوار فندق الاستقلال للمسجد, وعندما أراد أهل السنة البناء قامت السلطات الحكومية بمصادرة الأراضي وحسابات المسجد بحجة أن مفتي زاده وهابي المذهب وكان في وقته مؤتمر الطائف منعقداً فربطوا مفتي زاده به.

2-هدم المساجد والمدارس: مثل مدرسة ومسجد الشيخ قادر بخش البلوشي ومسجد كيلان في هشت بر وآخر في كتارك جابهار بلوشستان, ومسجد في مشهد ومسجد الشيخ فيض في شارع خسروي في محافظة خراسان الذي صار حديقة, ومسجد أهل السنة في مدينة يزد, وفي الأهواز وعبادان حيث استولى عليهما حرس الثورة كما أن مسجد آبان في مشهد صودرت الأرض المخصصة له وتم الاستيلاء عليه بعد السماح ببنائه, كما أن مسجد شيخ فيض الكبير في مشهد والذي مضى عليه أكثر من قرنين هدم عام 1994 ومسجد طوالش ومدرستها الدينية لأهل السنة سجن بانيهما ومديرهما, ثم استولوا عليهما, وأما مسجد نغور والمدرسة الدينية فيها فقد تم هدمهما أيضاً في بلوشستان عام 1987, ومسجد قباء والمسجد الجامع الكبير في تربت جام, الذي استولى عليه الحرس الثوري لسنوات عديدة ومسجد الحسنين في شيراز أعدم خطيبه وحولوه إلى محل لبيع الأفلام لسنوات عديدة, هذا فضلاً عن هدم كثير من المساجد الصغيرة الأخرى حيث تعتبر الحكومة الإيرانية تلك المساجد إما مساجد ضرار (بنيت لغير

---

[1] يرد أهل السنة على ذلك بأن القول بأن المساجد موجودة, ولا يمنع مسلم سني أو شيعي من أن يصلي فيها, فهذا خلاف الواقع لأنه يمنع قطعاً إقامة صلاة الجماعة لأهل السنة في مساجدهم وأما الفرادى فصحيح وإن كانوا ينظرون إليهم بازدراء وتحقير, وهل يمكن للسنة أن يصلّوا في مساجدهم وهم يدعون إلى عقيدتهم الصافية, فضلا عن أن مساجد الشيعة مليئة بالمنكرات مثل الصور المعلقة لمن يسمونهم بالشهداء, هذا عدا عن التدخين العلني داخل مساجدهم والسباب والشتائم لأصحاب الرسول, فكم يهينون مساجد السنة؟ ولماذا يقومون ببناء مساجد خاصة بهم في العالم الإسلامي؟

أهداف العبادة الخالصة) أو بنيت بغير إذن من الحكومة أو أن أئمة تلك المساجد لهم ولاءات مع جهات معادية.

3-الاعتقالات والاغتيالات, فحسب العديد من الروايات والتقارير فقد تعرض المسلمون السنة للعديد من مظاهر الاضطهاد منذ الأيام الأولى للثورة الاسلامية في إيران حيث انقلب آية الله الخميني على من عاونه من علماء السنة في الثورة وهو الشيخ أحمد مفتي زاده, فكان مصيره الاعتقال الذي استمر طيلة عقدين من الزمان, كما تعرض كثير من علماء السنة للاعتقال والتعذيب والقتل والاغتيالات في الشوراع, كما عانوا من التضييق في ممارسة الشعائر وفي المدارس وإقامة الصلوات, وما يتعرض له علماء الدين السنة يتعرض لمثله الطلاب والشباب من المسلمين السنة في المدارس والجامعات بل وأثناء أدائهم للخدمة مثل أقرانهم من الشيعة في الجيش الإيراني [1].

وقد نشرت منظمة العفو الدولية في تقريرها السنوي لعام 1993:(أدى التوتر بين الحكومة والمسلمين السنة من قبيلة نروى في مقاطعة سيستان بإقليم بلوشستان جنوب شرقي إيران إلى نشوب عدد من المصادمات المسلحة واعتقال عشرات من أفراد قبيلة نروى وقد أسيئت معاملة بعض هؤلاء المعتقلين وحكم على آخرين بالسجن أو الإعدام بعد محاكمات مباشرة وتردد أن كثيرين من المقبوض عليهم كانوا لا يزالون معتقلين دون تهمة أو محاكمة بسجن زاهدان في نهاية عام 1992).

4-تلغيم أراضي أهل السنة: حيث قامت الحكومة الايرانية بتلغيم مساحات كبيرة من الأراضي البلوشية المتاخمة لأفغانستان, وتحديداً عند مرتفعات سلسلة جبال بير سوران, ودره غلاب, وغابة غزو, وآبار آب شورك, بحجة أنها مناطق لتهريب المخدرات واتخذت الحكومة من ذلك فرصة لتشويه سمعة المسلمين السنة وفرض المزيد من القيود والتضييق الاقتصادي عليهم فقد كانت هذه الأراضي مناطق رعي للمسلمين من البدو السنة, وأدى هذا التصرف إلى تعرض عشرات منهم ومن مواشيهم للموت بشكل منتظم نتيجة انفجار الألغام.

5-التحدي السياسي: ويأخذ هذا التحدي العديد من الأبعاد من بينها:

(1) البعد التمثيلي: يتمثل في عدم منح أهل السنة تمثيلاً في البرلمان يتناسب مع حجمهم الحقيقي إذ لا يمثلهم في البرلمان سوى 12 نائباً فقط يمثلون ما بين 10إلى 15 مليون نسمة, في حين يمثل الشيعة في البرلمان نائب عن كل 200 ألف تقريباً, كما يتهم السنة في إيران الحكومة بإنجاح العناصر السنية الموالية لها وليست المعبرة عن مطالبهم.

---

[1] عن هذا الاضطهاد يقول الدكتور أبو منتصر البلوشي – رئيس رابطة أهل السنة في إيران -: " لا يوجد لون من ألوان التعذيب أو الإيذاء لم يتعرض له السنة في إيران, ويبدو أن المخابرات الإيرانية (الواواك) تمارس تدريباتها العملية في مواقع السنة, فاغتيال علماء السنة وتوقيفهم المتتالي والعشوائي مستمر حتى هذه اللحظة وحتى بعد مجيء خاتمي, وقد بدأت امواج الاضطهاد تتسرب من المدن السنية إلى القرى, وخاصة في منطقة بلوشستان, جنوب شرقي إيران وكذلك الأمر للسنة من أصول تركمانية في الشمال ".

(2)التناقض بين النصوص الدستورية والواقع المعاش فعلياً والممارسات التي تقوم بها السلطات الحكومية ضد أهل السنة: فقد نص الدستور على العديد من الحقوق والحريات لمختلف الأقليات ومن ذلك:

-الاحترام وحرية أداء المراسم والشعائر الخاصة, حيث نصت المادة (12) على أن " الدين الرسمي لإيران هو الاسلام والمذهب الجعفري هو الإثنى عشري, وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير, وأما المذاهب الاسلامية الأخرى والتي تضم الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل, وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي من مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية, وما يتعلق بها من دعاوى في المحاكم, وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية, فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية تكون وفق ذلك المذهب. هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى ".

-حرية استخدام اللغات الخاصة: حيث نصت المادة (15) على أن "اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة: هي الفارسية لشعب إيران والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة, ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الاعلام العامة, وتدريس آدابها في المدراس إلى جانب اللغة الفارسية " كما نصت المادة (16) على أن " بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الاسلامية هي العربية وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية".

-حرية تشكيل التنظيمات والهيئات المختلفة: حيث نصت المادة (26) على أن " الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والاتحادات المهنية والهيئات الاسلامية والأقليات الدينية المعترف بها, تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والقيم الاسلامية وأساس الجمهورية الاسلامية, كما أنه لا يمنع أي شخص من الاشتراك فيها, أو إجباره على الاشتراك في إحداها".

ولكن من القراءة الدقيقة لهذه النصوص نجد أنها تقيم حالة من الصدام والصراع مع قسم كبير من الشعب (يمثله أهل السنة) وخاصة أنها سوف توجه التصرفات الحكومية وتعطيها غطاء من المحاسبة, نظراً لأن المذهب الجعفري يسقط كل المذاهب الاسلامية الأخرى ولا يقيم لها وزنا, وتركيز هذه الصبغة الطائفية في الدستور الإيراني تتكرر في مواد أخرى متعلقة مثلا بمجلس الشورى أو الجيش وقسم الرئيس, وهذا القلق في الدستور تجاه الهوية الطائفية من خلال تكرار النص على مذهب الشيعة هو في الحقيقة خوف من المستقبل الذي لا يكون فيه الملالي في الحكم!

6-التحدي الديني: فنظراً لأن أهل السنة يعتبرون أنفسهم مخالفين في بعض المسائل الفقهية للشيعة الايرانيين الذين يغلب عليهم المذهب الإثنى عشري, فإن كل طرف يحاول الدعوة إلى إفكاره التي يؤمن بها وسط

الطرف الآخر, وهنا تقول الأقلية السنية إنها تتعرض لفرض الأفكار الشيعية بالقوة في حين تمنعها الحكومة من تعليم مذهبها.

فالإيرانيون من السنة والشيعة يحملون فوق كاهلهم ميراثاً من الخلافات والعداء التاريخي والمذهبي, ويزيد من حالة المذهبية أن النظام الايراني لم يفعل إلا ما يؤدي إلى تدعيمها رغم ظهوره في السنوات الأخيرة بمظهر المتسامح,فأحد المزارات الرئيسية في إيران قبر أبي لؤلؤة المجوسي, ورغم أنه من عبدة النار إلا أنهم يحتفون به لمجرد أنه قاتل عمر, كما أن من عقائدهم سب الصحابة وتجريح كبرائهم, وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن يقبلها المسلمون السنة.

وفي إطار التحدي الديني أيضاً, تأتي اتجاهات التقريب بين السنة والشيعة التي يدعو إليها عدد من علماء المذهبين, وتتبناها العديد من المؤسسات والجهات الرسمية والعلمية في عدد من الدول العربية والاسلامية, وعن هذه الدعوة يقول رئيس رابطة أهل السنة في إيران: " إن الإتجاه نحو التقريب بين المذهبين هو اتجاه خطير ومدمر بصورة تدفع إلى التفكير في أن وراءه مخطط تآمري ضخم على العالم الاسلامي, ويترتب على السير في هذا الطريق عدد من النتائج الخطيرة على الاسلام والمسلمين وخاصة أهل السنة منهم ".[1]

7-الإهمال والتجاهل: فمناطق أهل السنة هي الأقل استفادة من الخدمات التي تقدمها الدولة, ومساجدهم القليلة تتعرض لرقابة صارمة, وملاحقة مستمرة ولا يسمح لهم بإقامة مدارس, وفي الوقت الذي يوجد فيه معبد للزرادشتية في قلب طهران, فإن المسلمين السنة ممنوعون من إقامة مسجد يؤدون فيه شعائرهم رغم أنه مطلب يلحون عليه منذ سنوات.

أهل السنة, آفاق المستقبل:

حقيقة التقارب

إذا كان هذا عن التحديات التي يعاني منها أهل السنة في إيران, فإن السنوات الخمس الأخيرة وخاصة مع بدايات حكم خاتمي, شهدت نوعاً من التحسن في أوضاعهم, فالمسلمون السنة الآن ممثلون في البرلمان ب

[1] من بين هذه الأخطار كما يراها رئيس الرابطة:
-أنه سيدفع إلى خداع الغافلين من أبناء المسلمين السنة فيتأثرون بالاطروحات الشيعية التي لا يتنازلون عنها, فيظنون أن مذهب هؤلاء الشيعة هو مذهب آل البيت ومعتقداتهم ومبتدعاتهم هي حقاً من عقائد آل البيت, فيقع هؤلاء فيما يقع فيه الشيعة من المعتقدات.
-أن هذا الاتجاه لن يؤدي إلى تقارب بين السنة والشيعة كما يظنون, لأن حقيقة الشيعة في إيران هي أنهم لا يقبلون إلا بمن يقبل بولاية آل البيت ويقول بإمامتهم وتقديمهم على الشيخين بالمعنى الشيعي لهذه المفاهيم.
-أن هذا السلوك المهادن والصمت على مخالفات الشيعة, سيؤدي إلى مزيد من المذابح والظلم والاغتيالات التي يتعرض لها المسلمون السنة في إيران, فيما يواصل العالم الاسلامي صمته رغبة في التواصل السياسي مع إيران موظفين الدين لتحقيق هذا الغرض.

14 نائباً, كما شكل الرئيس خاتمي لجنة لمتابعة شئونهم مشكلة من رئيس شيعي (ابن شقيقة الرئيس خاتمي, والذي كان مديراً للمخابرات قبل ذلك في أحد الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة) واثنين من المسلمين السنيين, وهؤلاء النواب يطالبون باستمرار بتحسين أحوال المسلمين السنة ويسعى خاتمي لذلك في حدود قدراته كرئيس للجمهورية, وهذه المؤشرات وغيرها تنبئ بمستقبل أفضل لأهل السنة في إيران, إلا أن تحقيق ذلك يبقى رهناً بعدد من الاعتبارات:

-أنه إذا كان هناك حوار واسع بين العديد من الباحثين والمفكرين للتقارب بين السنة والشيعة, فإنه ما لم يكن الحوار حول أصول النزاع بين السنة والشيعة والوصول إلى اتفاق واضح فيما يحق الحق ويبطل الباطل ستكون العملية عملية خداع يراد بها جر السنة إلى مواقف الشيعة!! وإلا لماذا لا نرى تطبيقاً عملياً للتقارب بين السنة والشيعة في إيران؟ ولماذا لا يسمح بمساجد للسنة في العاصمة طهران؟ ولماذا لا يسمح لأهل السنة أن يمارسوا نشاطهم الديني بحرية حتى لو خالف الشيعة؟ ولماذا لا يحصل السنة على حقوق سياسية مساوية للأسف لحقوق اليهود في إيران؟.

-لقد بيّن واقع التجربة السياسية في إيران الأدوار المزدوجة التي يمكن أن يلعبها الدين الواحد, بل والمذهب الواحد, فبينما يستند المحافظون إلى قراءة مغلقة لأساسيات المذهب الشيعي, مستظلين بقدسية الولي الفقيه, فإن الاصلاحيين الإسلاميين يستندون إلى ذات العقيدة الإسلامية, وذات المرجعية الشيعية الجعفرية مؤكدين على علوية القانون والمساواة بين المواطنين وعلى دور إرادة الشعب في إفراز المؤسسات والأشخاص.

ولعله من المطلوب اليوم من الاسلاميين الايرانيين (محافظين واصلاحيين) أن يتأملوا التجارب التي سبقتهم, سواء داخل إيران نفسها أو في محيطهم الاســلامي والدولي, فليس بمقدور المحافظين إيقاف عجلة التاريخ أو احتكار السلطة تحت عباءة الشعارات ومبادئ الثورة, أو الاكتفاء باستخدام غطاء الولي الفقيه, كما أن الاصلاحيين يخطئون خطأً جسيماً إذا فهموا أن عملية الاصلاح ستؤثر على مرتكزات النظام الاجتماعي والسياسي.

-إذا كان الدستور يختار الطائفية وينص عليها للأبد فهل من أمل في التقارب أو الوحدة؟ وإذا كان جزء من الشعب الإيراني يظلم لأنه سني فكيف سيكون التعامل مع السنة من الدول الأخرى؟ وإذا كان الدستور يعلي من القومية والشعوبية والعرقية من خلال إعلاء اللغة الفارسية علي لغة القرآن؟ وإذا كانت السياسة الخارجية تصب دائماً في العداء لأهل السنة؟ فكيف ستكون هذه الوحدة والأخوة الاسلامية؟!.

إن الوحدة الاسلامية تتطلب التخلي عن الهوية الطائفية للدولة الايرانية وعن المظاهر الفارسية, وإعطاء أهل السنة حقوقهم, وترك السياسات العدائية تجاه العرب والمسلمين, وتبني سياسات متسامحة تجاه نشر المذاهب الاسلامية في إيران, وإقامة مؤسسات للوحدة الاسلامية والتقارب بين المذاهب في إيران يقوم عليها نخبة من أتباع المذاهب

الأخرى يرشحهم الأزهر الشريف ومجمع الفقه الإسلامي في مكة, وغيرهما من المؤسسات الاسلامية التي تلقى قبولاً واتفاقاً بين عموم المسلمين.

-إن أوضاع المسلمين السنة مرشحة لمزيد من التحسن خلال السنوات القادمة وخاصة بعد أن أظهروا في الانتخابات الأخيرة بمجلس الشورى الإيراني حضوراً لافتاً في دعمهم للاتجاه الاصلاحي, حيث ظهرت لأول مرة قائمة النواب الاصلاحيين قالوا إنها مدعومة من المسلمين السنة في البلاد, وكان ذلك بالتنسيق مع محمد رضا خاتمي شقيق الرئيس وزعيم الاتجاه الاصلاحي في الانتخابات.

-إن تطورات الأحداث والسياسات الخاصة بأهل السنة في إيران تطـرح سؤالاً مهماً مفاده: " هل يستطيع مشروع الوفاق الوطني –الذي طرحته " جبهـة الثـاني مـن خـرداد "(التكتـل الـذي قـاد الرئيـس محمـد خـاتمي إلـى السلطة عام 1997) فـي 7/4/2002 أن يجعـل عـام 2002 عامـاً للوفـاق الوطني تناقش فيه جميع القضايا الخلافية بين التيارات السياسية المختلفـة للخـروج بمشـروع ميثـاق وطنـي أو ميثـاق شـرف بيـن القـوى السياسـية والتغلـب علـى حـالات الانقسـام السياسـي والاجتمـاعي الـتي يعـاني منهـا المجتمع الايراني؟ وأين الأقليات الدينية والقومية من هذا المشروع؟.

إن نجاح مشروع خاتمي الاصلاحي يبقي مشروطاً بوجود قاعـدة إجمـاع واسعة تميز بين دائرة الثوابت المفـترض أن يتفـق حولهـا, ودائـرة الاجتهـاد المسموح بالاختلاف فيها, وتضم مختلف القوى السياسية والاجتماعية, التي تعـترف بثـوابت وشـرعية النظـام الاسـلامي حـتى تكتمـل صـورة النظـام الديمقراطي الإسلامي.